٤٤٤٦٦

ســاديزم

محمد الغزالي

ساديزم / قصص

محمد الغزالي

الطبعة الأولى : يناير ٢٠٠٩

الطبعة الثانية : مايو ٢٠٠٩

الطبعة الثالثة : ديسمبر ٢٠٠٩

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

احمد مهنى

تدقيق لغوي :

حسام مصطفى إبراهيم

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٩٨٧٩

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٤٧- ٠

جميع الحقوق محفوظة©

ســــاديــزم

قصص

محمد الغزالي

الطبعة الثالثة

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع

مقدمة

قد غامرت وكأنني واحد من الصبية اللاهين على قمم الموج

مثلهم أحاول تطويع كيس منتفخ بالهواء

صيفًا بعد صيف.. أيامًا طويلة

في بحر من المجد

لكن البحر كان عميقًا ..عميقًا جدًا

أعمق مما أستطيع أن ألهو فيه!

ويليام شكسبير..

مسرحية هنري الثامن

خطة نابليون

"المبدأ الأول هو أنه يجب ألا تخدع أنت نفسك لأنك أسهل شخص يمكن خداعه"

"ريتشارد فينمان"

- أنا من البداية، كنت بضيع وقت..فاهمني ..؟

ولو مش فاهمني..طظ.. إيه الجديد؟ .. عارف إيه أكـــبر ألم يا "حاتم"؟

إنك تحب واحدة للكل..بالظبط.. ده ألعن ألم.. ســاعتها تبقى حمار..

أنا حمار يا" حاتم "..حمار.

* * * *

- *بتحبي الشطرنج؟*

- *لا ..مش بفهمه.*

- دي لعبة الأذكياء!

تنطق كلماتها بلوم:

- وأي حد مش بيلعبها يبقى مش بيفهم يعني؟

- ههههههههههههه...هعلمك.

* * * *

-كيف عرفت أنها هي!!..وكيف تعرف أنت أمـــك مـــن وسط ألف امرأة! ..كيف أعرف أنها حبيبتي! هذا ســؤال لا يصدر إلا عن غرٍ ساذج يا "حاتم"، فلا تتصرف أمامي وكأنك القديس "حاتم".. ههههههههههه..انتظر.. انتظر.. ســأحدثك بصدق.. أتعرف الشذى الذي تنثره تلك الزهرة هناك فتعرف أن تلك الوردة هي من نفس فصيلة الورد في حديقة غرفتك.. منذ المكالمة الأولى وأنا أشعر بذلك الشذى.

ثم تتوالى الأيام وهي تخترق قلبي كما تمر الشهب ..لقطة.. فلقطة..أصبحت هي كل شيء..فنجان القهوة، بـــن معتـــدل وسكر مضبوط ..الشاي خفيف ومحلى بالنعناع ..هنا ابتسمت في هذا المكان بالضبط ..وهنا ارتعشت يدها وأنا ألمسها.. أها وهنا.. هنا ارتفع حاجبها الأيمن لتعبر لي عن نظرة من نوعيـــة،

اللعنة عليك إن اقتربت..وأنا اقتربت يا "حاتم".. إذن.. فلتحل عليَّ وعلى قلبي اللعنة ..

* * * *

– فلنبدأ الدرس الآن..ضعي الملك في المكان الآمن خلف الصفوف، وضعي حجارتك في المكان المقابل لحجارتي ..ههههه انتظري ..الملك يجب أن يكون في مكان الوزير ها هنا.. كل ملك على لونه المخالف ..ابدئي.

* * * *

قلبك والقسوة مرادفان لكلمة واحدة في قاموس الحياة..وعيناكِ والبراءة شريكان في جريمة قتلي ..وشد الحبل وإرخاؤه لعبة تجيدينها.. والسذاجة هي ملامحك الطبيعية، فلا تحتاجين إلى قناع لادعائها..ونظراتك الشمسية تخفي انطلاقة القمر من عينيكِ، لكي تعلميني من جديد كيف أندهش، فأحترق، وأحرق سيجارتي، وأدخن، فيصير للتبغ مذاق قبلتك بدون أن أقترب. وأتنفس شذاكِ لكي أغيب وأنكسر..

– ماذا أصفها وكيف أصفها! ..حسنًا سأحاول، انظر إلى القمر، أترى تلك الغجرية الراقد وجهها بداخله.. حبيبتي هي تلك الغجرية.. وماذا عن غرام الغجر..إنه يعلمك أن لسمار الجلد طلسمًا لا يُفتح إلا بكلمة واحدة ...الجنون...

* * * *

هي.. وماذا لديها لتقول يا "حاتم" ..هه ..تسألها.. وعلـيَّ أن أسمع دفاعها.. هه ..حسنًا حسنًا، فلنتحدث..

– مشكلتك أنك لا تدرك كيف هو خوف الأنثـى .. لا تحدثني عن الحب، فحبك مثلك يا سيدي المجنون الغريب..انظر إلى دخان سيجارتي ..حبك وهم وسراب مثل دخان سيجارتي هذه ..هل أستطيع أن أمسك ذلـك الـدخان بيـدي؟.لـو استطعت.. لربما أحببتك يا سيدي العزيز. لربما فكرت.

* * * *

– بالطبع عليك أن تحركي قطعك بحذر . . صدقيني الحـظ دائمًا ما يسعف قليلي الخبرة ..فقط تذكري أن المـوت هـو النهاية إن خسرت، لذلك عليك أن تحسبي خطواتك قبـل أن تتحركي ..الأحجار تتنفس، فلا تقتليهـا بكثـرة التـدخين، حركيها وأحبيها.

* * * *

أريد أن أدخن الآن ..تتساءل لماذا أعود إلى التـدخين؟!.. أنتظر لأشعل تلك السيجارة وأنفخ دخانها وأنا أغمض عيوني.. انظر، سأنبئك يا "حاتم"، لأنها تدخن..أيمكنك أن تتخيـل أن

يصبح نفس ذات التبغ الذي تعتصره رئتاها ويمر بالقرب مـــن قلبها النحاسي.. هو من نفس فصيلة دخاني ... ثم لأنني أقبّـــل السيجارة كأنني أقبّل شفتيها... وأعتـــصر العلبـــة الفارغـــة بقسوة.. بامتهان.. لأنني أدركت أنني أجري وراء الـــسراب. فأمسك بقلبي كأنة العلبة التي أفرغتها منذ قليل وأنظر في العينين البريئتين والقلب المدنس..لأحترق، أحترق يا "حاتم".. أحترق بحق..

* * * *

من سينظر إلينا الآن ويرى تـــداخل الأحجـــار البيـــضاء والسوداء في بعضها البعض، لا يستطيع توقع النهاية ولكن لابد أن تتضح الرؤية بعد هذه المرحلة..

* * * *

ربما علينا أن نتوقف عن التخبط قليلاً.. لنشرح من أنا ومن أكون.. كل هذه الفلاشات تتعبني أنا شخصيًا يا "حاتم"، فما بالك بك أنت! . انتظر! انتظر! لا تقف في الركن مثل التلميذ الخائب، تعال وأنا سأحدثك من البداية.. وأعدك بأن أتكلم بمنطقية..ههههههههههههههههه..منطقية؟! ..بالطبع. التقط أنفاسك ولنبدأ..

– أنا "باهر رشيد" ...محاسب في شركة أدويـــة .. منـــذ تخرجي وأنا هنا..أنت تعلم أن عمي هو العضو المنتدب لتلـــك

الشركة .لا تعلم؟! إذن، الآن أنت تعلم ..أنت تعرف أنني لا أطيق الزحام والضجيج، ولا أطيق البشر خاصة بعد أن انتقلت لمصر..لاكتشف أنها مزيج من كل ما أكرهه.. لا تعرف أنت بأن نصفي بالكامل يحمل الدماء الزرقاء..نعم بي عرق انجليزي هو لأمي ..غرك سمار لوني، أليس كذلك؟ ..لا أنا أحمل الجنسيتين، ولا أردد هذا دائمًا ..دعني فقط ولا تزعجني باستفساراتك..أعود إلى البشر.. أها..انظر يا "حاتم"! الجميع أغبياء..كلهم ..وغباؤهم هذا يؤثر عليَّ بالسلب.. حتى الشطرنج -لعبتي المفضلة- لم أعد أمارسه..قلما أُخرج طاولة الشطرنج من حقيبتي لأضعها بمستوى رأسي... لماذا؟ ..من سيلعب ضد عقلي يا "حاتم"؟!..الشطرنج..الشطرنج.. عقلي هو من يلعبها عندما ألعبها فيجب على الجميع أن يعتاد وجودي..

* * * *

- ههههههههههه.. من قال لك بأن الوزير يتحرك بذلك الشكل ..لم أعرّفك بتحركات القطع، حسنا، انظري !

سأعلمها لك بطريقتي ..ولكن لا تفتحي عينيك بتلك الطريقة فتثيرين جنوني ...ولا تخجلي أيضا ليتضرج وجهك بالحمرة، فبهذا أيضًا تثيرين جنوني!! .

* * * *

- أتعرف أني كنت أكره يوم الأربعاء قبل أن أراها! لا تعرف؟ ..أها.. كنت أكرهه.. تشعر أنه يوم بلا أي ملامح

خاصة ..لو تم انتزاعه ..ماذا سوف يحدث؟! سـوف تـستمر الحياة طبيعية..أليس كذلك؟ سبت، أحـد، اثـنين، ثلاثـاء، خميس، جمعة..فكرة عبقرية يا "حاتم".. انتظـر! لا تتـهمني بالعنصرية.. الذكاء أساسًا ليس حكرًا على أحد ولا هو عملية ذهنية صعبة....إنه ممارسة ووجود لإعمال تفكيرك في أكثر من موقع!! أتعرف لماذا أعشق الشطرنج؟ ..المتعة في لعبة الشطرنج -مع أنه لعبة الأذكياء فقط- أن الفائز واحد !

والمتعة الأكبر ليست حينما تلعب بالقطَع فقط.. بل حينما تلعب بخصمك أيضًا! ...سأعلمك السر.. خصمك غالبًا مـا يحصر كل تفكيره في خطوته القادمة...لكنه لا يعلم شيئًا عـن خطوتك أنت القادمة! متعة هذه اللعبة تقـع حينمـا تـؤمن بخطواتك....وبازدواجية الفكر...تتوقع خطوته التالية..وحينها فقط يا "حاتم" يمكنك أن تبتسم في عينيه وتقول: ..كش! كش ملك!

* * * *

_انظري يا صغيرتي.. المتعـة في الـشطرنج لـيس في أن تنتصري أو تهزمي ..المتعة حينما يصبح (الـشطرنج) سياسـة وتستخدمينه في حياتك العامة...لا تعرفين كيف؟ ..سأعلمك يا طفلتي ..انظري..

هذا الجندي... وهو عادة أسوار تحمي بها شخصيتك بمتغيرات بسيطة وهو يحمي جميع القطع..

وهناك الخيل...وهي للتوغل في جسد خصمك دون أن تحطمي أسواره..

وهناك الفيل..وهو الأصعب استخدامًا والأذكى على الإطلاق..فهو يسلك أكثر الطرق مراوغة بخطى مستقيمة!! وهي عادة ما تكون ضربات توجهها لخصمك من زاوية الخلل في شخصيته...فينهار!!

* * * *

_كنت أراها كل يوم يا "حاتم"..كل يوم..ولكني لم أنظر من قبل إلى عيونها..حينما حدثتني عن الرحلة..كانت تعلم أنني لن أذهب..لذلك دهشت عندما ذهبت.. صدقني من ينظر في عيونها السوداء لا يمكنه أن يرفض طلبًا..لو طلبت مني أن أقسم والآن على أني رأيتها من قبل في القمر، سأقسم لك، لا ليست سذاجة..أنت تعلم أنها ليست من الطراز الذي أفضله أساسًا.. هي سمراء وأنا أعشق البيض ..تعرف أنت كيف أنظر للنساء ..صحيح أن تجاربي يمكن أن تحصرها على أصابع يديك، ولكن صدقني إن مجرد النظر إليها يعيدك بريئًا ..أنا أقترب يا

"حاتم"..وأقترب.. أسقط، وأسقط.. واللعنة عليَّ إن أحببت ..اللعنة عليَّ .

*****

سأسألك سؤالاً ولا تجيبي .. فكري فيه فقط عندما تستطيعين القضاء على الآخر (الملك) بأحد الجنود، هل هو ذكاءٌ خارقٌ منك، أم غباءٌ خارقٌ من الطرف الآخر؟!!

*****

_تعلم أنت كيف تجرى تلك الأمور..لا داعٍ لابتسامتك من فضلك..أتعرف؟.حينما تجذب وترًا فإنه يُصدر نغمًا غريبًا..لا.. ليس نشازًا..ولكن غريبٌ..أراهنك أنها شعرت بي وأنا أتأملها..لو كانت النظرات تلمس لتمت محاكمتي بجريمة التحرش، ولرضيت بها أنا عن طيب خاطر ..ها أنا ذا أتوسد عينيها..وألمس شعرها بدون أن يبدو على جسدي ولا عيوني التغير..أحفظ تقاطيع الحركة فيها..هي تحدثني كصديق..ههه..صديق بالفعل..تعلم أنت أنهن جميعًا ما يبدأن هكذا ...لا تعرف؟ هه..لأنك لم تر عيونها..أتعرف النهر الذي رمى فيه "أخيلس" -بطل الأسطورة- لكي يتقبل الموت بكل

ترحاب؟..عيونها هي نهر الموت يا "حاتم". صـــدقني..حينمـــا تنظر فيهما يمكنك أن تتقبل أي شيء وكل شيء!

*****

_سوف أعود للقطع.. هه..لم تفهمي السؤال ..ركــزي فقط...انظري.. تلك هي القلعة... ولا يصح أن تستخدمينها كثيراً... لماذا؟.. لأنك مثلها بسيطة وصريحة..في حالتك يصح أن تستخدمينها من حــين لآخــر بعــد خطــوات الــذكاء والتعقيد...فحتمًا سترىك من يلعــب ضــدك واعتــادي ألا تعتبرينها هجومًا... لماذا؟ لأنها حركة دفاعية في زى الهجوم !!

*****

_أراها واقفة كثيرًا يا "حاتم" مع الجميع...خاصة مع ذلك الشاب الأبيض الناعم.. أنت تعرفه.. من قسم الخـــدمات ..لا أشعر أنه رجل أساسًـــا..أنـــت تعـــرف أني رأســـت قـــسم الحسابات..بالطبع ..لم يخبروك بعد..حسنا أصبحت أنـــا الآن المدير الأصغر سنًا في الإدارة..أنت تعلم، لا أتنازل عن المنصب الأول أبدًا يـــا "حـــاتم"..لا أعلـــم فـــيم يتحـــدثان كـــثيرًا وكثيرًا..سوف تقام مسابقة للشطرنج.....وهى لا تستطيع أن تلعبها .....الفرصة سانحة للفوز بالمسابقة وبقلبها ..تعرف أن أخاك هو الأذكى ..أليس كذلك؟..

*****

وهناك في القرب يقف الوزير...وهو رمز الثقة...فالرجل الذي يفرض ثقته على الحضور، هو رجل يستخدم الوزير كثيرًا....هذا احذريه لأنه اندفاعي ولا يعي حجم تصرفه!!

ولكن الذكاء أن تستخدميه بعدما ينسى خصمك وجوده!!

*****

تقترب مني هامسة.. لا أعرف من أين عرفت أنني بطل الجمهورية السابق. تريد أن أشترك بالتحكيم. أتأملها..

_*الشطرنج* لا يحتاج إلى محكّمين..يستطيع صديقك من قسم الخدمات أن يقوم بهذا الدور..كيف نطقت بهذا! صدقني أنا لا أعرف يا "حاتم".. فقط قلتها وأعطيتها ظهري...لتجعلني ألتقط أنفاسي:

_"محمد"مش صديق.

أتنفس مرة أخرى يا "حاتم"..أنت تدرى أن..

فتقاطعني مرة أخرى:

_"محمد" خطيبي يا أستاذ "باهر".

*****

بجانب الوزير..هذا المختال بعظمته هو الملك...وهو شخصيتك الحقيقية التي تعجز عن حماية نفسها!!!!

*****

ماذا؟ صدمت؟!..ومن هي حتى تصدمني من الأســاس يــا "حاتم"؟!..ماذا؟ تتكلم مرة أخرى؟ ..دعها تتكلم..ولننتظــر آخر ذلك العبث يا "حاتم".

_الحياة مثل الطاحونة ..والذكريات هي القمــح ..ونحــن نسير لا ندرى إلى أين.. ولكننا نسير ..مــن قــال أن الحيــاة معادلة مترابطة الأطراف ..الحياة نزوة. وعلينا أن نمــر دون أن تلوثنا ..علينا أن نخوض في بحر الذنوب، ونــصعد أبريــاء..أن نحترق بالشهوة ونظل نتحلى بفضيلة الشرف..علينا أن نشرب كأس الحياة حتى الثمالة..بدون الحق في أن نشكو من طعم المر!

تحاسبني على الحب؟ لو أن كل كلمة حب مرت بي هي إثم وله حد، فعليك إذن أن تجلدني في ميدان عام.. ألف ليلة..مــا ذنبي إن عشقني فلان أو أحبني علان؟! ..أنا أحذر من يقتــرب مــني.أنــا لــست للحــب ..انظــر إليّ.. تلــك المساحيق..أثارتك..شعور الرجل نمى في أحشائك فــأردت أن تثبته للجميع ..تبًا لكم..أوف.. ها هي العلبة قد انتــهت...لا تحدثني عن قوانين الرحمة..أنا كل ما فعلته في عمــري كــان محاولة عدم إيلام الآخرين. وهم... نظروا لي وأنا أتألم بمنتــهى العبث واللامنطقية. وتركوني بحجــة أني الأقــوى....مــاذا

عنه.."محمد" خطيبي! شاب عادى..قد يئست من محاولة العثور على بطل.. الأبطال مكانهم الأساطير يا عزيزي. الأســـاطير.. ورأس صديقك المتوهم هذا.

*****

_ماذا؟..سأشترك في المسابقة بالطبع..همم.. تريــدينني أن أعلمك خدعة؟ حسنا..سوف أقول لك إحدى أبسط وأسرع الخطط في الشطرنج..خطة نابليون ..انظري إلى يدي ..

*****

تتكلم هي مرة أخرى ... أوف.. دعها تتحدث يا "حاتم"

_ماذا؟ حذرته بالطبع يا "حاتم" أن يعرفني...أفهمته أنني لا أستطيع أن أحب.. إن أراد هو فعليه أن يحصل على قلبي .. لا تنظر إليَّ هكذا! أنا بقايا امرأة. صدقني..هذا القلـــب الـصغير الذي تنظر إليه، احترق كشهاب .. وانطفأ، وذل، وانكــسر، ودُهس..فلا تطلب مني أن أكون رقيقة..أو متفهمــة. أنـــا لم يتفهمني أحد. فعليكم اللعنة جميعًا إن لمتموني.. أنـــت وهـــو، وحتى "محمد".. الجميع عليكم ألف لعنة.

*****

_خطة نابليون لها شرط وحيد! هو أن يبقـى خـصمك جنوده أمام الملك دون حراك.

حركتان بالجنود..وحركة واحدة بالفيل وأخرى بالوزير.. والعكس.. ثم اقتلي الجندي الواقف في زاوية الملك وبعدها.. كش ..كش ملك!.

*****

_أيمكنني أن أشعل سيجارة أخرى؟ قلت لك لن يتحملـــها ذلك الطفل، فلم تفهمي..أحرقته كشهاب..لن تجد في النهاية إلا أنا يا "حاتم" ..ماذا؟ ارتبطت مرة أخرى.

*****

_انظري إلى القطع.. تأمليها! كم هي جميلة حينما تـــرقص القطع على طاولة الشطرنج! ترقص بحب..هي للأذكياء فقط! قلتها لك من قبل.. وحينما تقفي قبالتي أمام طاولة، علينـــا أن نعرف إن كنت أنا أذكى منك....أم أنت الأذكى!

*****

_أنا من البداية كنت بضيع وقت..فاهمني ..

ولو مش فاهمني..طظ.. إيه الجديد؟..عارف إيه أكبر ألم يا "حاتم"؟

إنك تحب واحدة للكل.. بالظبط ده ألعن ألم. ساعتها تبقى حمار!

أنا حمار يا "حاتم" ..حمار. هي من البداية واضــحة ..إيــه الفرق بينها وبين أي حاجة؟ إيه الفرق بينها وبين كولدير الميَّه ده؟..مفيش...ليه؟ لأن أي حد ممكن يشرب منه..سبيل يعــني ..صدقني. متبصش كده باستغراب! أيوه دي للكل...شــوية معايا وشوية مع "محمد" وشــوية مــع "يوســف" و"أحمــد" "وأشرف" للكل صدقني .وبعدين مين قــال لــك إني أصــلاً بحبها..أنا بشرح لك بس.. أنت بقيت غريب ليه كده.

****

اليوم بداية الدورة..أراها في رداء بزهور جميلــة..وبنطــال جينز ضيق..وطرحتها بتلك الربطة العجيبة ...أنظر إلى جدول المباريات، فأندهش.. ما هذا؟ أنتِ تلاعبينني أنا! أنتِ ضــدي في الجدول..هههههههههههههههههههههههههه!

فلتــضحكي أيتــها الأقــدار ولتمطــريني بــسخريتك المفرطة..سوف أعلمك يا سيدتي الآن .. والآن فقط .. سوف تتعلمين أول دروسي بحق!

****

ــ لم ألقنك درس الدهاء في الشطرنج بعد..هه ..الــدهاء في لعبة الشطرنج..أن تدعى خصمك يهاجم وأنت تبــدين لــه الضعف...ولا مانع من أن تضحي بجندي أو حيل أو قلعة ..لا تفرطي في الفيل فهو عادة ما يكون ضربة قاضية!! لا تعــرفين

لماذا؟..سأشرح لك ..نشوة فرحه بـطعمك ستـضعف مـن أدائه...لعدة أسباب.

*****

في اليوم السابق أصرت أن تغير في الجـداول.. لابـد أن تلاعبه..شهور تتمرن..تعرف أنه الأفضل..تعلم ذلك ..الجميع يخبرها...بطل الجمهورية الأسبق ..الأستاذ ..الرائع..الـراقص على الرقعة..لم يترك أحدًا إلا وهزمه..ترك اللعبـة لـسبب لا يعلمه أحد..حسنا أيها الراقص ..سوف نرقص غدًا سـويًا.. حتى وإن كانت الرقصة الأخيرة.

*****

_أها.. الأسباب...انظري!

لو تأملته ستجدين أنه استنزف كل تفكـيره في اصـطياد طعمك...بينما كنت أنت تختبرين ذكاءه...وجعلتـه يخـوض انتصارًا وقتيًا ...بينما عرفت أنت طريقة هجومه .. في حين أنه لم يفهم طريقة هجومك بعد!

وبقي سببان ..انظري إلى الطاولة!

*****

ترصين قطعك بمهارة ويسر..تنظرين في عيني مباشـرة .. همسين بكلمة بدون صوت .. ماذا؟ .. فلنرقص!!

*****

حين تهزمين فان انتصاراته البسيطة ستجعله يقارن بين البداية (وأنت بكامل قوتك) والوقت الحالي (بعدما خسرت أنت) فيؤمن حينها أنك أضعف منه...وسيهبط مستواه رغمًا عنه ...

*****

أرأيت من قبل عينين سوداوين بأكملهما.."يخرب بيت عيونك ...يا عليا".."يا عليا شو حلوين"...يخرب بيست كده..أغمض عيوني لألتقط أنفاسي..وأفكر في الطاولة وأنا مغمض ..هناك سيقف الوزير أليس كذلك؟ ..أستطيع أن أهزمك بحركتين ..بأربع..انتظري سأنصب على الهواء منصة ...سأدفعك لأن تحركي الوزير.. بالفعل هو مصدر قوة بالنسبة لك، ولكن إن فقدته يصبح النصر بالنسبة للاعبة حديثة مثلك ضربًا من الخيال، وستخسرين بعدها مزيدًا من حجارتك، تضحية لإبقاء على الملك..للأسف سأجعلك تفقدين الوزير وبعد أن تفقديه، سأجعلك تحركين حجارتك رغمًا عنك حسب ما أريد وبذلك ستتوالى الخسائر من جهتك... وفى النهاية ستسأليني ماذا أريد وقد أتيت على معظم حجارتك!! توقعي أي شيء ..توقعي أني أبحث عن نهاية جميلة، فبالنسبة لي، بعد أن تسليت معك كثيرًا، يحق لي أن أبحث عن تلك النهاية التي تُرضي غروري.. ألا يحق لي؟... وبعدها سأنظر في

عيونك الحزينة ..وأقولها لك وقد شارفت اللعبة على الانتهاء: كيف تريدين نهايتك، وعلى يد من؟! على يد (القلعة) أم (الحصان)؟ هل ستصدقين إذا قلت لك أنني أستطيع قتلك بأحد(الجنود)؟! أضعف عناصر النصر لدي !! قمة السخرية! أعلم ذلك.

ولكنني بدأت أشعر بالملل.. فقد بدت لي اللعبة سخيفة جدًا.. لذلك سأنهيها بطريقتي.. تنتزعك من أحلامك انتزاعًا.

_أستاذ باهر ...

_أيوه..

_ابدأ.. الأبيض بيبدأ..إنت نسيت؟..تبتسم..

*****

أنا لا ألعب سوف أخوض جولة للفرجة..هناك الحصان والآخر....تحركين الجنود أمام الفيلة ...ههههههههه

فليبدأ الرقص...

*****

في عقلها كان صوته يتردد.

.هي أبسط وأسهل خطط الشطرنج..ولا تصلح لهزيمة محترف.

لو أبقى خصمك جنوده أمامه فقط.. لو أبقاهم..حركتان بالجنود، وحركة واحدة بالفيل وأخرى بـــالوزير..والعكـــس. ثم اقتلي الجندي الواقف في زاوية الملك..وبعدها كش ..كـــش ملك!

*****

تحـــركين الفيـــل بحـــذر ..حـــسنا وهـــاك فيلـــك .. فليسقط...تبتسمين وتخرجين الوزير..حـــسنًا بالـــضبط هـــي دقيقة...

*****

آخر قاعدة يا عزيزتي في لعبة الدهاء، أنه إن أحس بالثقـــة فقد انسكب....وأنت الوعاء الذي احتواه....فحتمًـــا أنـــت المسيطرة!!

*****

_دكتور محمد ..دكتور محمد..

_أيوه يا إبراهيم ..

_أستاذ شادي مستني حضرتك وبيسأل عن صحة أخوه.

_ماشي.. أنا رايح له..

_أهلا يا أستاذ شادي ..

_طمني يا دكتور..

_مفيش..حالة الغيبوبة مستقرة ...

_أنا بقى لي فترة واقف وإشارات المخ بتتحـــرك بـــسرعة وبترجع تهدى.

_محدش عارف إيه اللي في مخه يا شادي ..بيفكر في إيـــه.. أو بيحلم بإيه.. أو عايش في قصة إيه.. محدش يعرف.. ربنـــا بس اللي يعلم.

*****

عندما كانوا ينظرون إلى "باهر" من خلف الزجاج .. كان هو ينظر في عيني حبيبته التخيلية..ويجلس بجانبه "حاتم" صديقه منذ الطفولة الذي لم يوجد...وهي تنتصر عليـــه ..وتقولهـــا بمساعدة خطة نابليون البسيطة..

كش ملك!

رسالة من أنثى

"إنما النساء شقائق الرجال..ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم"
(حديث شريف)

رسالة من امرأة حمقاء

يا سيدي العزيز هذا خطاب امرأة حمقاء .. هل كتبت إليك قبلي امرأة حمقاء؟ .. اسمي أنا ؟

دعنا من الأسماء.. رانية أم زينب أم هند أم هيفاء.. أسخف ما نحمله ـــ يا سيدي ـــ الأسماء!

"نزار قباني" ...

***

ـهل شعرت يومًا بأنك منتهك؟! .. نعم، أشعرت بأنـــك تمشي عاريًا وسط الجميع؟! .. أعرف أنك –كرجل- تعودت على سياسة الاختراق، لا الانتهاك.. لـــذلك تفـــتح فمـــك بدهشة..اسمعني فقط ولا تقاطعني يا سيدي..

أنت تعرف أنني انتقلت للعيش في القاهرة منذ شهور قليلة.. وتعلم أيضًا أنني لست بالسافرة..وأنـــني أدرك أحكـــام ديـــني جيدًا..وأعرف قدر نفسي.

ولكني منذ جئت، وأنا أشعر بأني مشوشة فكريًا للغايـــة.. مشوشة حتى في علاقتي مع جسدي...

قبل أن تبدأ لا تحدثني عن قوانين المجتمع والفكـــر الغريـــب بأنني إن سترتُ نفسي فسوف يقيني هذا شـــر المـــضايقات.. فالذي أراه الآن لا يمت لأي قوانين أو أديان بصلة!!

أتعلم أنني – لأول مرة في حياتي- أتجرع كل ذلك الكم من الفكر الذكوري المتعصب للغاية والرافض لوجود المرأة.

منذ سنوات.. كنت أعرف المعادلة الخاطئـــة هـــا هنـــا، وأحفظها .. المعادلة القديمة ..المحجبة هي الفاضلة والسافرة هي الساقطة..

إلا أن ذلك تغير الآن! فالجميع أصبحن ساقطات....صدقني الأمر مؤلم للغاية!

أنت لا تتخيل كمَّ الشعور بالمهانة الـــذي أتعـــرض لهـــا يوميًا..لمروري في وسط البلد.. أشعر أن نظـــراقم تلمـــسني وتعريني ..أصبحت أكره جسدي وأكـــره كـــوني أنثـــى... تبتسم...أنت لا تعرف يا صديقي العزيز ماذا لاقيـــت حـــين حاولت أن أمشي على قدمي في وسط البلـــد! ..حـــتى الآن أتساءل ولا أجد إجابة!

سؤال واحد يؤرق نومي: ما الذي دفع كل تلك الكمية مـــن الذكور وأشباه الرجال إلى التصرف تجاهي وتجاه أخريات بكل تلك العدائية، ذات الدلائل الجنسية القذرة ؟!

***

فشرقكم يا سيدي العزيز يحاصر المرأة بالحراب، يبايع الرجال أنبياء، ويطمر النساء في التراب.

لا تنزعج يا سيدي العزيز من سطوري! لا تنزعج إذا كسرت القمقم المسدود من عصور.. إذا نزعت خاتم الرصاص عن ضميري، إذا أنا هربت من أقبية الحريم في القصور، إذا تمردت على موتي، على قبري، على جذوري.. و المسخ الكبير.. لا تنزعج يا سيدي إذا أنا كشفت عن شعوري.. فالرجل الشرقي لا يهتم بالشعر و لا الشعور!

***

أتعرف حينما أتيت القاهرة لأول مرة، حذرني صديق من المشي منفردة، مازلت أذكر عبارته القاسية: "هنا مش كندا دي مصر" ولكني لم أعر كلماته أهمية..كنت مخطئة، اعتدت قديمًا في زيارتي أن أرى شبابًا يعبِّرون عن آرائهم بالتصفيق، أو حتى بالتعليق باللفظ أو بالنظر إعجابًا..كنت أعرف أن القانون هنا -غالبًا- يمنعهم من خدش الحياء العام...ويمنعهم من أن يتعرضوا للإناث من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أخلاقهم وقيمهم تمنعهم ... ولكن في زيارتي الأخيرة تلك، علمت أن القانون ليس رادعًا لهم ولا

أخلاقهم أيضا..وما لفت نظري بشدة، هو الأعـداد الكـثيرة لأشباه المحجبات.. تبتسم مرة أخرى يا سيدي!!

الحجاب زى لا يسعني إلا أن أحترمه، وأدعو الله أن يـرزقني اتباعه بالطريقة الصحيحة.. ولكن ما يحدث هنا هو تهـريج.. سمه رقصًا على الحبال، سمه ما تشاء.. ولكن هذا لا يمكـن أن يكون حجابًا، ولا التزامًا، ولا أي شيء ...من زمن والمجتمـع الذكوري هنا قد نجح في أن يتوصل إلى معادلة غريبة للغاية لا أدَّعي فهمها..المعادلة هـي أن تـربط الحجـاب بـالانحلال الأخلاقي...

لم تفهم كلماتي؟.. سأشرح لك ..أعني أنكم قد وضـعتم رمزًا، وهو الحجاب، وهو -مع احترامـي- رداء خـارجي، وصنعتم من الرمز - الحجاب- دليلاً وبرهانًا على الفـضيلة.. وكنتيجة طبيعية، ستصير التي بدون هذا الرمز، ساقطةً أو على أقل تقدير لا تمت للفضيلة والشرف بصلة..لا أعلم كيف عدتم بنا إلى ما قبل "الإسلام"..بجاهلية موجودة تحت قناع التسامح والعقلانية.. جاهلية ترفض الآخر بدون سماع منطقه.

تخيل أن أستاذًا جامعيًا بشوشًا دائم التحدث عـن القـسيم، رفض أن يتحدث معي؟!، بل اتهمني بالهرطقة والإلحاد، لمجـرد

أني اختلفت معه في الرأي!!.. معذرة، أي رأي آخــر يقابــل بالتكفير والعدوانية والرفض هكذا بكل بساطة!!

***

معذرة .. معذرة يا سيدي إذا تطاولت على مملكة الرجال.. الأدب الكبير ـــ طبّعا ـــ أدب الرجال.. والحب كان دائمًا من حصة الرجال!

***

وما يحدث في وضع كهذا، أنك تصبح في صــراع طــوال الوقت، وتعمل جاهدًا للإبقاء على وجودك الإنساني في وسط الصراع، لكل فرد طريقته في مواجهة الصراع، فالبعض يبتسم والبعض يستسلم ..والبعض يقاوم.

ولكني – حينما وصلت إلى تلك المرحلة مــن الــتفكير– اكتشفت أنني أصبحت فيما يشبه الانطواء، لا أطيق مغــادرة عربتي أو شقتي.. بل إني أغلق باب المكتب حتى وأنا أدري أنني في مكتبي الخاص... تنازلت عن هوايتي الصباحية!!

انتابني إحباط نسائي قومي...تساءلت كيف يمكن لــذلك الشباب أن يصير يوما شعبًا حرًا..مادامت تستعبده الأكاذيــب وتسيره العنصرية وصيحة التكفير هذه؟

بكل بساطة، الفضيلة مقابل البغاء، وكأنما الصورة هذه السطحية.

ثم كيف يتكلمون بآيات الله ثم يخالفون كل ما جاء فيها !!

عن أي دين يتحدثون وهم من يدمرون كل قواعده؟! وكيف تستغفر الله صباحًا ثم تفعل الفعل ذات نفسه مساءً!!..أتعرف يا سيدي حتى في رمضان، ذلك الشهر الجليل..كان زوج صديقتي يدخن جهرًا بالنهار...ثم يوبخها للغاية إن تأخرت عن دروس الدين، ويحدثها بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في أن تراعي بيتها وأن تسجد لزوجها بعد الله، وهو الذي لا يقيم الصلاة أصلاً!!

عن أي دين نتحدث هاهنا! أعن الإسلام" أعظم أديان الأرض؟!

أعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوصاكم بالقوارير؟!

أعن القرآن الكريم الذي أمركم بغض بصركم.. وليس أن تحملقوا للغاية بسبب أو بدون..وفي الجميع.. في السافرة والساقطة.. بل وفى المحجبة والمنقبة أيضًا.. بحجة أنهم تحت النقاب!! و..و...؟!!

وكان الله قد خص ذلك الحشاش ...لا تبتسم فأنت تـــثير غضبي بابتسامتك الهادئة تلك...

صدقني لا يمكن أن تطلق عليه غير ذلك.. قـــد خـــصه الله بالحكمة ليرى أنها... وأنها.... حتى من تحت النقاب..ثم مـــن قال إن الدين الإسلامي قد همّش دور المرأة، وأنه لا مكان لها، وأنها يجب أن تلاقى بكل هذا الرفض الفكري، فقط لأنها أنثى ..ثم كيف يمكن أن يتحدث كل هؤلاء عن التحرير وتحطـــيم الأعداء في إسرائيل وخلافه، وتحرير أنفـــسهم مـــن حكومـــة تقمعهم أكثر. وكيف يمكن أن تتخيل أن ينجو من الاستعمار والذل، ماداموا هم أنفـــسهم يمارســـون العنـــصرية والـــذل والاستعمار لأهليهم، وأبناء بلدهم أنفـــسهم، فقـــط لأنهـــم مختلفون...كيف سيصيرون شعوبًا مستقلة؟!!

أي العلاقات تلك التي سوف تحكمهم!...ينـــادون بـــأن يحكمنا الإسلام.

ألا يا ليت ذلك يحدث! ولكن عن أي إسلام نتحدث هنا!! عن إسلام المصطفى صلى الله عليه وســـلم وهديـــه، أم عـــن "إسلام" شيوخ لا يدرون سوى أحكام العلاقـــات الزوجيـــة وأحكام المرأة الحائض..والرجل الجُنب!!

فكرت طويلاً يا سيدي في العودة لـــبلادي الأصـــلية..لا تتعجب من ذلك اللفظ! فهنا أنا سأعيش إرهابًا أبـــديًا لأن الله

خلقني بهذا الجسد .. حتى وإن لفقته بألف ألف نقاب وألف ألف حجاب!

حتى وإن التزمت بالزى الإسلامي الذي ألتزم به قبل أن أعرفهم وقبل أن أسمع كل ذلك الكم من الأشرطة، الذي أهدته لي أخت لا تعرفني في المسجد، وهي تحدثني بأني أغضب الله تعالى لأني مبتسمة دائمًا! ونسيت بأن تبسمك في وجه أخيك صدقة .. وهو ما ردت به عليها أخت منقبة أخرى.

وجدت فيها تفهما ووعيًا .. يا سيدي أنا قررت أن أعود لبلاد فيها إسلام بلا مسلمين .. وأترك بلادًا تعيش بمسلمين بلا إسلام!

***

خرافةٌ حرية النساء في بلادنا

فليس من حرية أخرى، سوى حرية الرجال يا سيدي

قل ما تريده عني، فلن أبالي

سطحية، غبية، مجنونة، بلهاء، فلم أعد أبالي، لأن من تكتب عن همومها .. في منطق الرجال امرأة حمقاء وأنا امرأة حمقاء.

***

لا تعليق....

البديل

"أيتها الدمية ..سامحك الله
إني أحبك حتى الآن ...حتى بعد أن وضعتك في مصاف الدمى
ولكن إلى متى يدوم حب الدمى"
" يوسف السباعي"

ـــيا سيدتي أنا أحبك حقًا ولكن لن يصلح لي ذلك الـــدور صدقيني لست رجلك

ــ كريم افهم ول......

ـــيا سيدتي بالله..اسمعيني...

ــاهدأ من فضلك..

ــأنا هادئ فقط اسمعيني

ــكل ما أطلبه هو فرصة للشرح و.... ...

قاطعتها بغضب:

ــأنا لا أصلح لكِ بديلاً.. ذلك الشعور يمزقني من الوريـــد إلى الوريد!

***

استريحي ليس للدور بقيّة

انتهت كل فصول المسرحية

فامسحي زيف المساحيق ولا ترتدي تلك المسوح المريمية

واكشفي البسمة عمّا تحتها من حنين.. واشتهاء .. وخطيّه

كنت يومًا فتنة قدّستها

كنتِ يومًا ظمأ القلب .. وريِّه..(أمل دنقل)

***

كنت دائمًا في الركن المظلم، أتعلم ذلك الركن الذي يغطيِّه الظل بالكامل في الصور؟ دائمًا كان مكاني ذلك الركن.. لم أكن أعني لها إلا حائط الصد الأخير، جدار المبكى لقلبها.. دائمًا ما كنت أقوم بذلك الدور لها بدون أن تعلم أو أعلم، كنت دائمًا من أجلها هناك.. إلى أن احتلت أرضي بالتدريج.. الاقتراب منها ألقى على قلبي اللعنة.. بالرغم من تملّك السحر من قلبي وتغلغل في شراييني إلى الأعمق، وهي.. هي كانت مختلفة منذ البداية، كانت أنثى.. لا تعرف ما الفارق بين الأنثى وباقي النساء، سأنبئك بما لم تحط به علمًا... الأنثى هي من تجعلك رجلاً بحق.. بل تجبرك وتعلمك كيف تصير رجلاً، فتعبر الجبال وتحطم المستحيل نفسه.. رسم الله في عينيها جمالاً، من ذلك الذي ينتقل منها إلى كل الأشياء، فتراها معها أجمل.. وأنا، أنا أحببتها منذ البداية.

***

ـــإنت شفتها إمبارح

ـــ مين؟

ـــ"سارة"

ـــآه.. شفتها.. وسألت عليك صحيح...

أشعل سيجارته وقاطعك وهو ينظر في عينيك.

ـــإنت عايزها يا "كريم"

ـــيعني إيه عايزها يا "إسلام" مش فاهم؟

ـــلا فاهم إنت صاحبي وفاهمني، أنا عارف إنك بتحبـــها.. باين في عينيك وفي كلامك عليها.. إنت عارف إن علاقتنـــا تقريبًا انتهت..لو حبيت تصاحبها.. أنا مش ممانع خالص.

صمت للحظة وقلت:

ـــ"إسلام" عايزنا نفضل أصحاب ؟

ـــنعم ؟؟

ـــمتتكلمش في الموضوع ده تاني لو سمحـــت..ومتجـــبش سيرتها بالطريقة دي تاني.

***

القدر له سخرية غريبة في توزيع الأدوار.. ومن عجائب سخريته أنه يجبرك على أن تلعبها بطريقة مختلفة.. جعلني أستمع لكل من الطرفين في صمت وأبتلع مشاعري مع صمتي بابتسامة.. كان عليَّ أن أسمع رأى "إسلام" الصريح فيها..هو ببساطة يراها عادية، واحدة يا كريم مالها يعني واحدة بوقتها.. وعليَّ أن أسمع منها كلمات افتتانها برجولة "إسلام"..وأناقشها فيما تراه بغصة في حلقي.. الوقت كفيل بأن يعلمك كيف تكتم ما بقلبك بقلبك.. وجرعات الألم بالتدريج ستصبح إدمانًا للوجع واشتياقًا للألم، حينها يصبح جلد الذات وتعذيبها هو الشعور المسيطر.. حينما كانت تفضحني عيوني بالوجع، حينها كانت بخبرة أنثى محنكة في فن الكلمات وفى رسم المشاعر والأحرف والوجع، تبرر كلماتها وتنطق كلماتها وهى تضغط على مقاطع خروج الأحرف بقوة تدمر ما بقى في قلبي من قوة بأننا أصدقاء.. كثيرًا ما سخرت من كلمة أصدقاء تلك.. الجميع وهي في مقدمتهم علمت أنني أحبها... حينما كانت تستشيرني في علاقتها المتشابكة، كنت أهاجمها كثيرًا في صورة النصيحة، أنفث عن غيرتي المكبوتة بدون قصد، أوبخها إن أخطأت، تعلو نبرة صوتي وتزداد حدة كلماتي.. وهي.. هي كانت تستمع لكلماتي بصمت وبتفهم وأحيانًا وباستمتاع أحيانًا.. لماذا؟.. بالطبع لأننا أصدقاء!! المثير للدهشة، أنها دائمًا

مع كل قصة حب تنهيها... كانت تلجأ إليَّ لتبكي في حضرتي.. لتشرح لي بالتفاصيل الدقيقة كل شيء.. همسات العشاق لأذنيها.. كلمات الحب الدافئة التي تفتقدها الآن... لمعة عيون فلان أو علان..وكان عليَّ أن أستمع -فقط- بصمت.. أستمع.. وروحي تكسر أضلعي من الثورة وتسحقني.. وأنا أبتسم في عيونها..أبتسم وأتألم وأستمع!

***

لم تكوني أبدًا لي

إنما كنتِ للحب الذي من سنتين قطف التفاحتين الحلوتين

ثم ألقى ببقايا القشرتين

وبكى قلبك حزنًا فغدا دمعةً حمراء بين الرئتين

وأنا.. قلبي منديل هوى جففت عيناك فيه دمعتين

ومحت فيه طلاء الشفتين ولَوَّنَه ..في ارتعاشات اليدين.

***

بعد أن تركها "إسلام" بعقلها تساءلت عمن يصلح لها زوجًا.. الأمر الآن لم يعد للحب أي دخل فيه، وهي لم تحب أحدًا فيهم من الأساس، وإن كانت تفضل "إسلام".. ولكن في الزواج، الأمر سيختلف حتمًا..هي تكبر يومًا عن الآخر

صحيح أنها لا تزال في ريعان شبابها، ولكن تلك الجذوة المقدسة لنار شبابها ستخبو حتمًا، وستحتاج إلى من يرعى نيرانها الدافئة ويبارك انتقال النار على استحياء في خريف عمرها، حسنًا تلك هي ورقتك يا "إسلام" يمكن دائمًا عن طريق "كريم" صديقه أن... لحظة، "كريم"..!!. لماذا لم تفكري به من قبل، يا للغباء إن كنتِ ستبحثين عن زوج فمن يصلح مثل "كريم"؟.. خجول وصامت، صامت؟.. لكنه ينطق في حضرتك حتى وإن لم ينطق بلسانه، فعيناه تفعلان.. ولكن "كريم" صديق؟.

هراء من يؤمن بالصداقة بين الرجال والنساء!.. خاصة حينما تلمع عيونهم بالنشوة في حضرة بعضهم البعض.. حسنًا تلك هي ورقتك يا "كريم"... فلنبدأ.. رقمه على هاتفك، تطلبينه بثقة ليجيب بفرحة:

_ آلو

_ عارف إنك وحشتني

_ إيه!

_ وحشتني وحشتني يا "كريم"

_ ربنا يكرمك

_ ينفع أشوفك النهارده

ـــآه أكيد هظبط و...

تقاطعينه بقوة وبإصرار:

ـــلا متظبتش أنا هشوفك النهارده.

حينما نظرتِ في عينيه .. رأيتِ أعماقه.. دعك مما تقول.. أستطيع أن أسمع صدى الصوت في أعماق قلبك الــسحيقة.. أستطيع أن أسمع ذلك الصوت يرد على كلماتي، بأنك تعشقني يا "كريم"، ليس حبًا فقط، أنا أرى ذلك وأسمعـــه.. حـــسنًا.. ترى ما لون الفستان الذي سأرتديه في خطبتنا...!!؟

***

ونحن نعبر الطريق كادت أن تسقط، التقطتـــها بـــذراعي، لمستها، ارتعش لها جسدي وتفتت روحي، لا أعلم لم تؤثر في قلبي ملامستها إلى تلك الدرجة!.. لم أتحطم إلى ألف قطعة مثل البلورة إذا نظرت في بحار عينيها... درج مكتبي ازدحم برسائل حبها، برسائل لم ترسل قط! أحيانا كنت أغمض عيوني وأتخيل أني أراقصها وهي ترقص بين ذراعي، أتخيل أني أنظر في عيونها وأصمت في رهبة.. وكثيرًا ما كنت أعاتب نفـــسي وألومهـــا لصمتي .. لم لا أحاول؟؟.. لم أتحطم هكذا!!.. هي فقط تريد منك أن تبدأ خطوتك الأولى.. أبدأ.. لا تراجع الآن، ســـوف

تنجح.. همست لك بأنها اشتاقت إليك وأتت من أجلك.. إنها خطوتك الآن.. اليوم سوف أقولها.. ارتديت أبهى ما تملــك، بنقودك القليلة اشتريت لها قطةً صغيرة، هي تعــشق القطــط وتكره الورود، إنك تحفظ ما تحب وتعشق ما تعــشق لأنهــا ..لأنها هي.

***

_عايز أقولك حاجة.

_قول.

_أنا ..أنا بحبك.

نظرت في عينيه وبمنتهى القوة نطقتها.

_عارفة

***

كان ماضيك جدارًا فاصلاً بيننا

كان ظلالاً شَبحيه.. فاستريحي ليس للدور بقيه!

***

يومًا فيوم كانت تدخلك عالمها الممتلئ بالأشياء الجميلــة.. هي تعلم جيدًا كيف تسيطر على قلبك!

وتجعلك تخطو في الطريق الذي تريده.. أنت الآن تـــذوب وهى التي تذيبك بصبر وبتأنٍ وباحتراف.. سألتك يومًـــا: مـــا أسوأ شيء قد يحدث في قصتنا؟... تبسمت وصـــمت قلـــيلا وأجبتها بدون قصد:

ــأن أحبك أكثر من ذلك.. هذا هو أسوأ ما قد يحـــدث.. صدقيني.

***

ــمش بتشوف "كريم" يا "أحمد"

ــلا خالص، من ساعة ما بقى مع "سارة" ومحدش بيشوفه!

تلتفت إليه:

ــبقى مع مين بتقول؟

ــ"سارة" يا سمسم.. "سارة مجدي".

ــهههههه.. الواد ده ندل.. بيقعد فين طيب؟

ــبص فيه سكشن كمان نص ساعة يبقى هو أكيد في "أون ذا رن" لأن ميعادنا نتقابل هناك.

ــماشى يلا هخدك معايا في العربية ..

عندما رأيته أخذته بالحضن، لا مكان لسلام باليد هنا، افتقدته بحق.. أحسست في عينيه بخجل غريب وهروب.. لم تشأ أن تتحدث أمام "أحمد".. انتظرت عندما ذهب ليطلب قهوته..

_كده يا ندل.. مش قلت لك من الأول؟

_قلت لي إيه؟

_قلت لك لو عايزها مش هعزّها عليك.

_"إسلام" لو سمحت بلاش الأسلوب ده!

_أسلوب إيه يا كريم؟ فوق بقى ..دى واحدة زى السيجارة دي.. شايفها؟..لما تخلص ترمي كده ويداس عليها عشان الولعة تنطفي!!

رأيته وهو يقفز نحوك ويوجه إلي وجهك لكمة.. بغضب تلقائي كدت أن ترفع يدك لتحطم وجهه، ولكنك لم تستطع.. كيف تدمر صداقة استمرت عمرًا بأكمله؟!.. حجمك ضعف حجمه ولكمة مماثلة ستترك في وجهه علامة.. فقط وقفت ونفضت التراب من على ملابسك ونظرت إليه وهو يرحل في صمت!

***

_إنتي بتحبيه يا "سارة"؟

_"إسلام"

_لا "كريم"

_"كريم" .."كريم" حد جميل يا ندى بس مش عارفة مش حسَّاه أوي بس أكيد بعد الخطوبة ها..!

تقاطعك بدهشة:

_مش حسَّاه!! ..خطوبة ليه طيب؟؟.. الواد ده بيحبك بجد يا "سارة"

_يا سلام..

تقولها دون اهتمام..

_لا بجد..إنتي معرفتيش إنه ضرب "إسلام" عشانك

_نعم .. بجد؟ "إسلام" حصل له حاجة؟

نظرت صديقتها إليها بدهشة لم تستطع أن تداريها:

_لا محصلهوش.. "إسلام" أصلاً مرضيش يكلمه.. سابه ومشي.

_شفتي الفرق بقى؟

***

كنت تشعر بالحيرة وبالغضب وبالندم بعد ما حدث بينـــك وبين "إسلام"، الأمر لم يكن يحتمل أن تمد يدك عليـــه..أنـــت تحتاج إلى أن تهرب.. ولكن إلى أين؟.. حـــسنا رقمهـــا يـــنير شاشتك وحبها ينير حياتك.

_صباح السكر يا جميل

_صباح النور يا كريم..هنخرج النهارده؟

_أكيد تحبي نتقابل فين؟

_جراند

_أهي واحد؟

_جراند النزهة

_ماشي

لماذا ذلك المكان بالتحديد؟..أنت وهي تعلمان أنه مكـــان "إسلام" المفضل.. فلماذا اختارته.. لماذا وأنت في أول الطريق معها تذكرك بأشياء لا تود تذكرها.. لا يهم، سوف تجعلـــها تحبك، سوف تحمل الكون بكامله في راحتيك الصغيرتين لكي تختار أي النجوم سوف تزين به شعرها الساحر..عندما ذهبت وجدتها قد سبقتك.. لماذا تلك الأريكة بالتحديد؟.. أهي تتعمد أن تختار نفس الأشياء بتلك الدقة؟!.. يشعر أنه يرى "إســـلام"

بعين الخيال يجلس فقط.. وأنت تحل محله حتى يعود، حاولـــت أن تخبئ شعورك، تحدثت وتحدثت، بغير قصد لمست يـــدها... فارتعشت يداك وابتعدت بيدها عن يدك في لحظة الملامـــسة .. ابتسمت، فقط هي تحتاج بعض الوقت لا شيء أكثر.. وأنـــت تتحدث وجدتها تستمع إليك بنصف اهتمام وعيناها تنظران إلى مدخل المكان.. نظرت معها لتجد صديقك القديم.."إسلام"

***

أينما نحن جلسنا ارتسمت صورة الآخر في الركن القصي

كنتِ تخشين من اللمسة أن تمحي لمسته في راحتي

وأحاديثك في الهمس معي إنما كانت إليه ..لا إليّ!

***

يومًا فيومًا بدأت تلاحظ أشياء لم تكن تراها مـــن قبـــل.. لاحظت أنها فقط كانت تقترب منك دائمًا في لحظات ابتعـــاد الجميع عنها.. أنك لم تكن لها إلا دولاب الأسرار أو حـــائط المبكى في حين أنها لم تعرف قط مـــاذا أردت أنـــت أو مـــاذا أحببت... عندما كانت تفقد الجميع وخاصة أحبّتها.. حينـــها وحينها فقط كانت تقترب منك أكثر وأكثر لتجـــدها تمـــلأ الكون من حولك وحينما تعتاد عليها في لحظة مفاجئة تتركك

وحيدًا وتترك المساحة الخضراء التي تعـودت أن تـشغلها في حياتك وتترك كل شيء خططتم له سويًا وترحل.. لماذا احترق بالشك وبعدم الثقة هكذا أهذا هو الحب... عـن أي حـب تتحدث وهي التي لا تنطقها أبدًا في حضرتك؟ تتذكر الآن أنها لم تكن ترد على كلمات حبك أو ترد باقتضاب كملكٍ تلقى تحت أقدامه غنائم الحرب بكل رضا... أأنت غبيٌّ لهذا الحـد.. لماذا تصبر عليها إذا لم تلعب لعبة ترى نهايتها هـي الخـسارة المؤكدة.. لماذا تصعِّب على نفسك الأمر .. تذكر حديثك مع "أحمد" فهمت الآن ماذا كان يقصد بالإستبن!

_عارف إيه فايدة الإستبن يا "كريم"؟

_ آه ده عشان كاوتش العربية لو با..

يقاطعك:

_صح بس أنا أقصد في البشر

_مش فاهم!

_متلعبش دور مش دورك يا "كريم" إنت أكبر من كده.

_مش فاهمك برده

_بكره هتفهم

ربما عليك للحظة أن تتوقف وأن تنظر للموقف من بعيد.. كل ما كانت تريده هي، فترة نقاهة، مرحلة انتقالية ليس أكثر.. وأنت أديت الدور كما أرادت.. كلمة حبيبي أو وحشتني لا تنطق دائمًا بقصد.. لا صداقة حتى ما بينكم، كم مرة تحدثت معها فيما يؤلمك؟.. كم مرة استمعت هي!!.. دائمًا هي من يشكو فقط وعليك أن تستمع، هي حتى لا تذكر تاريخ ميلادك وأنت تذكر كل لحظة في حياتها.. لماذا تستمر إذا؟

***

كانت "سارة" الآن في حيرة من أمرها، "كريم" قد فاتحها في أمر خطوبتهما... وهي كل ما طلبته منه مدة لا تعلم لماذا..!!. وهي في الطريق طلبت رقمه، رقم "إسلام"... الشوق فقط هو ما جذبها إليه، كانت تريد أن تتحدث معه ولكنها وهي تتحدث تحدثت في كل شيء.. إلا في موضوع "كريم"، صرخت له: أحبك لا تتركني.. فاجأها تغيّر نبرة الحديث، احتقار "إسلام" لها وهي تتحدث عن "كريم" بسوء.. فاجأها بقوله: إن كريم صديقه الوحيد وسيظل كذلك مهما حدث وهي مجرد سيجارة.. التقط منها أنفاسًا ليرميها في قلب الطريق من نافذة عربته، لتدهسها الإقدام.

***

_عارفة إن "كريم" ده طيب أوى

_اشمعنى يعني؟

_كان فيه أجزاء كثيرة مش فاهمها في الشغل وشـــرحها لي بمنتهى الأدب.

_هو كده دايمًا مؤدب وخجول

_يا بختك!

_على إيه يعني؟

_أيوه طبعًا لأنه راجل بجد.. راجل مش زى بقية الغجـــر اللي عرفتيهم!

_هههههههههههههههههههههههههههه

***

فاستريحي الآن لم يبق سوى حيرة السير على المفترقِ

كيف أقصيك عن النار وفى صدرِك الرغبة أن تحترقي ؟

كيف أدنيك من النهر وفى قلبك الخوف وذكرى الغرق

أنا أحببتك حقًا ..إنما لست أدري أنا ..أم أنت الضحية

فاستريحي . ليس للدور بقيه!

***

اليوم موعدهم... تأنق للغاية وهو ذاهب للقائها، كان قد انتوى أمرًا، ذهب وجلس في مواجهتها.. بدأت تتحدث وتتحدث وهو ينظر في عينيها:

ـ مالك؟

ـ مفيش ..

ـ بتبص كل شوية على موبايلك.

ـ مفيش مستني حد بس وأهو جه...

أمام عينيها المندهشة نطقت:

ـ "إسلام"!

ـ مالك مستغربة ليه؟

ـ لا بس

ـ بس إنتي نسيتي إننا أصحاب.. شبه بعض صح.. بيقولوا كده دايمًا.. عارفة؟.. استغربت أوي لما طلبتي مدة.. واستغربت أكتر لما كلمتيني الصبح وقلتي إنك مجنونة بيا وبتتمني أكون الراجل اللي يعيش معاكي بقية حياتك... تفكيرك هايل.. عايزة تنتقمي من صورته فيا.. صح؟

ـ يا كريم

ـــ يا سيدتي أنا أحبك.. أحبك حقًا ولكن لن يــصلح لي ذلك الدور صدقيني لست رجلك.

ـــ كريم أفهم ول...

ـــيا سيدتي بالله ..اسمعيني

ـــاهدأ من فضلك..

ـــأنا هادئ فقط اسمعيني

ـــكل ما أطلبه هو فرصة للشرح و...

قاطعتها بغضب:

ـــأنا لا أصلح لكي بديلاً.. ذلك الشعور يمزقني من الوريد إلى الوريد.. منذ اليوم الأول عرفت.. عرفــت وصــمتُّ، لم أطلب منك أي شيء بل كان كل ما أطلبه أن أظــل بجانبــك وحتى ذلك لم تعطني إياه!!.. كل ما فعلته هو إعطائي شــعورًا مزيفًا لقلب منكسر..ولم أرفض.. ولكن يا سيدتي عفوًا هنـــا ينتهي دورك.. منذ البداية حذرتك.. إلا الكذب.. لِــمَ لَــمْ تصدقيني؟.. لَمْ تسمعيني!! كل ما فعلته هو أن دمرتِ كل ما فعلته من أجلك فقط من أجل أن تنتصري

حينما هبطت منها دموع عينيها..التقط من أمامها مفاتيحه ورحل مع صديقه

ربما لأول مرة منذ عرفته شعرت بأن قلبها كـــان ينــبض بحبه.. بحب كريم.

الفراشة

"هي قصة بدأت وانتهت.. وعلق بداخلها فقط الذكرى والألم"

"جزء من القصة"

مفتتح:

هي قصة بدأت وانتهت.. وعلق بداخلها فقــط الــذكرى والألم، وها هي رسائل تكتــب إليهــا ولا تــصل عينيهــا أبدًا..ولكنني أكتبها

****

وما ذنبي إن كان حبّك هو ما قدر لي!

وما ذنبي إن طعنك أحباؤك من قبلي!

وما ذنبي إن كنتِ لا تعرفين ماذا تريدين.. من الأساس!

وما ذنبي إن كان خطئي أن ما هو مباح لي.. محرّم عندك!

****

_عارفة إنتِ شبه إيه؟

_اممممممممم إيه يا ترى..؟

_الفراشة.

ـ يخاف منهم أوى على فكرة.

ـ وأنا بحبهم أوى على فكرة.

****

ولدت حبيبتي في برج الجوزاء، هو برج هوائي أكثر ما يميزه أنه يمنح مع جنسيته الاهتمام الشديد بالتفاصيل وبالجمال والمظهر الخارجي.. برج يضفي على أصحابه الابتسامة الساحرة والفكر العميق والثقافة الهادئة.. برج يمنح لصاحبه حب الجمال والقدرة على منح الحنان والقسوة في آن واحد.. وعيناها قد ولدتا لتكونا قادرتين على غزو أعماقك بالدفء إن أرادت، أو جعلك تشعر بالثلوج تتكون على روحك فتصير كلوح من البلور، لا تريد.. لا تحس.. لا تشعر.. سوى بتشتتك كطفل فقد أمه في زحام المدينة.. قادرة على أن تلغى الحدود إن أرادت وترسمها إن أرادت.. منحها الله "الطلة" البهية والقدرة على أن تلقى على قلبك السحر في لحظات.. حسنا فلنتحدث عنها أو بلسانها وليلعب هو دوره إن أراد هو.. عن الحنين إليها أتحدث

****

أمن الممكن أن يترك أبطال مسرح حياتك المسرح فارغًا للحظات.. سأكون أنا الراوي والمخرج للأحداث وسأدمج

الواقع بالخيال ليصيرا قصة واحدة، سأبدأ من مرحلة التكون.. استعدي يا فراشتي الصغيرة فستبدئين الطيران الآن.

حينما نكون في فترة المراهقة نكون على استعداد لأن نحب أول شخص يصافحنا وهو يبتسم.. في هذه السن تصبح شبكية العين مستعدة لالتقاط أي شعاع ضوء، تصبح الأرواح أميل إلى التصديق بأن ما نراه أمامنا هو نصفنا الآخر.. هذا ليس حبًا.. حتى وإن تصورنا للحظات أنه الحب الأول والأخير، وأن ما بعده هو مجرد تصورات مملة، حتى وإن ألصقنا بمن كان يحبنا صفات أسطورية كفيلة بجعله" أخيلس" بطل "طروادة".. أو "هرقل" الذي حارب الجبابرة وحيدًا.. إنه نوع من أنواع النرجسية، هذا ليس حبًا إنما هو العثور على واحة في قلب الصحراء فنحن في فترة المراهقة نحب هربًا من الفراغ أو لكي نثبت لأنفسنا أننا قد تغيرنا.. لا مشكلة في كل هذا يحدث كثيرًا ولكن المشكلة أنها حينما لعبت معه لعبة العشاق لأول مرة.. حينما سمعت منه كلمات الحب لم يكن الزمان قد لقنها أول درس حتى.. لم تكن تعلم حينها أن الحياة مدرس قاس يعطي الامتحان أولاً ثم يشرح بعدها الدرس..كيف تنقل الطفلة إلى أنثى من دون أن تنتظر أن تصير حتى فتاة!! لم تكن حتى مراهقة كانت لا تزال طفلة وهو كان شابًا يافعًا.. من الطبيعي أن يصير الحلم والحب والفارس في آن واحد.. أن تكون أنت الأستاذ والحبيب والخائن والقاضي والجلاد والمتهم في آن واحد، هذا هو الجنون بعينه!

البدايات دائمًا مؤرقة... تريد أن أحكي لك عمن أكون.. تريد أنا أصير قصتك القادمة .. تريد أن يحتويني كتاب بسبعة جنيهات أو بعشرة لا أثق في حدوث ذلك ولكني سوف أحدثك.. عني أنا..أنا أنثى مصرية عادية للغاية، بعيوب ومميزات أنثى مصرية.. بوجه وملامح أنثى مصرية وبعقد أنثى مصرية أيضا.. قصتي كقصة صفاء أو سمر أو هدى أو أميرة أو سما أو غيرهم .. مالها قصة ككل قصة.. إلا أنها تختلف في أنها قصتي أنا.. فلنعترف بأن القدر ألعابه غالبا ما تكسر كل الاحتمالات.. صديق اليوم هو عدو الغد لذلك لا تعطى سرك لأحد.. سيقول لك أنه الرجل المنتظر ..وسيقول لك بأنه عشقك وأنه رأى العالم يتكون في بحور عينيك.. سيقولون كلامًا سيجبرك على التراجع عن قراراتك.. ولكن صدقيني.. جميعهم كاذبون.. لذلك عليكِ أن تتعلمي كيف ترقصين رقصة الحياة وتنظرين إليهم من عليائك.. بنظرة من نوعية "حسنا ومن تكونون أساسًا" هذا ليس غرورًا هذا هو سلوك القنفذ يا عزيزتي الصغيرة.. لا تقلقي أن لم تتقنيها، الزمان كفيل بجعلك تلعبينها بالطريقة الصعبة لتتعلمينها إن أراد.

أعود لقصتي حينما كنت صغيرة كان الجميع يتحدثون ويتحدثون وأنا لا أفهم من حديثهم إلا أن عيونهم كانت تتسع كلما زارتني أعينهم على فترات.. حتى أنني للحظات ظننت أن

في الأمر شيئًا ولكنني فيما بعد فهمت أن سر النظرات هو مـــا يسمى بالانبهار.. يقولون جميعهم بأنني أحمل جسد امرأة وقلب طفلة وروح أنثى.. لم أتعلم فنون الأنوثة قط ولكنني تعلمـــت كيف أتحدث! كيف تتلون الأحرف! فترتجف عين الرائـــي.. وأنا أنظر وأنتظر..كيف التقيته هو.. ألم أقل لك منذ البداية أن القصة نمطية وللغاية.. هو كان جارنًا من يسكن في العمـــارة المقابلة ..أحبني!! ..بالتأكيد أحبني..وأنا تنفـــسته، لم أحبــه فحسب.. أتعرف أنني في البداية لم أحبه..صدقني كنت أخشاه كثيرًا..كنت طفلته ..وهو من علمني أبجديات العشق ..معــه ومعه فحسب تعلمت كيف أنطق كلمة أحبك.. أوحـــشتني.. معه كنت أرتجف.. وأشعر بالأمان وبالخوف.. بالحزن.. أتعلم حتى الآن لازلت أتذكر لحظات حضوره المربكة كان يكفي أن يمر فقط لكي ترتجف يدي الصغيرة وأشـــعر بالـــدماء تغـــزو وجهي... كيف؟ ولماذا يحـــدث هـــذا؟ لا أدري.. ولكـــن سأجرب أن أشرح، أنا لا أعلم كيف.. ولكنني أعلم لمـــاذا.. لأنني كنت أشم رائحة عطره، فتزلزلني لأرتجف في حضرته ..

***

كيف تتكون الفراشات.. سأنبئك ــ فقط لا تفقد التركيز من فضلك ــ أنا الراوي أعود لأخترق الأحداث حينما أشـــاء ..أتأمل فراشتي تحلق من حولك لتنبهر فأمد أصابعي لتـــستقر

عليها أو لتطير بعيدًا عني وعنك تلك هي قـوانين الحكايـة.. وعليك أن تتقبلها..أعود إلى الفراشات.. الفراشـات تتكـون بالتدريج، هي المثال الأوضح على إعجاز الله بالجمال .. فمـن دودة قز صغيرة إلى شرنقة تلتف هي نفسها لتغزلها بخيوط مـن الحرير إلى أن تفقد الأمل في تلك الشرنقة الغريبة فتعود لتغشى عينيك بالضوء لتهرب أو لتحترق.. هـو، ومـاذا عنـه؟... فلنتحدث عنه بلسانه لنتسلل إلى داخله ونرى كيـف يـرى الكون من منظاره.. ولما الكون معك حق كل ما يهمنا كيف وجد فراشتنا الصغيرة.. لتستعد أيها الـصديق فـالآن يـبدأ دورك.. لتهبط إلى خشبة المسرح.

النساء!!.. وماذا عنهم.. النساء هم زينة الحيـاة الـدنيا.. هههههههههههه.. لم تفهم القصة، الأصل هم المال والبنون.. ولكن إن دققت النظر ستجد أن المال يأتي ليذهب على النساء، والبنون يأتون منهن، لذلك يمكننا اختـصار متعـة العـالم في النساء.. هي.. هي من في حضرتها أكتمل.. لا تصدق، ومـا رأيك إن كنت أخشاها صدقني أخشاها كـثيرًا، في حـضرتها تتضاءل الحدود لتصير هي حدودي صحيح أنني أتألق حينمـا تصبح بجواري ولكن ذلك لا ينفي رعـبي مـن وجودهـا في حياتي، حينما تصبحين موجودة أسـتطيع أن أحلـق لألمـس السماوات، تنظفين أركان حياتي من غبار الفشل الذي يلتصق بأيامي، ولكن لا تنكر أن وجود أم واحدة يكفي..حسنا الملل

هو الشعور المسيطر.. المشكلة أنك أفضل من اللازم.. لماذا لا أتذوق باقي الزهور وأكتفي من رحيق العسل.. برحيق نحلة واحدة.. امرأة واحدة لا تكفي.. قسوة أن تكون صديقتها.. أوافقك الرأي ولكنها مصرة.. وأنا لا أملك أمام إصرار أنثى إلا أن أنهار.. أن أنهار وأرتشف من بحورها وأنهار وأسقط!

****

لا تتذكر هي ذلك اليوم جيدًا .. الضائع والخائف والمرسوم بالقلم الرصاص لا يملك الإرادة أو الذاكرة للأحداث، وهي كانت مثل كل هؤلاء كانت لا تزال طفلة لا تدري كيف انمحت الذاكرة لتترك في القلب ندبة لا تندمل كانت تخلق تشترى أشياء بسيطة من البائع أسفل مترلهم لربما يسعدها الحظ فترى عينيه قبل أن تصعد إلى غرفتها فتحتضن عينيه بداخل رموشها حينما شعرت بألم في أسفل رأسها فنظرت لتكتشف كم كان ساذجًا للغاية ذلك الذي نشر في العالم أن الخيانة هي مجرد ألم لا يحتمل.. الخيانة ليست ألمًا لا يحتمل.. الخيانة هي خنجر مغروس، قبل غرسه نقع بسم نفاذ، وغرس بالقلب من الجهتين.. حينها يصبح حب الألم متعة.. وفقدان الثقة بالنفس طبيعيًا.. وعدم الاطمئنان حرفة.. وميكانيزم الدفاع طريقة عيش.. مبدأ اللامبالاة هو المسيطر.. حينما ترى صديقتها

الصغيرة تتبختر بدلال وهي خارجة من منزله حتى أنها تعبر الطريق فقط لتريها عينيها الظافرتين... حينها وحينها فقط تفقد الطفلة أجمل ما فيها: براءتها وتفقد الأنثى الثقة بالعالم وتفتقد الحدود.. حينها وحينها فقط تؤمن بأن الخنجر قد غرس إلى الوريد.. وغاص في القلب إلى النصل.

****

موجع أن يكون هناك طفل حالمٌ صغير يحمل قلبه على يديه بحثًا عن شيء اسمه حب.. ويدرك أن الحب هو الوجه الآخر للعبث في قلوب الآخرين... وتقضي هي العمر في محاولة إنقاذ ما تبقى من الوهم.. وتعلمها الدنيا الدرس بالطريقة الصعبة لأول مرة وتهمس في أذنها أن القلب لن يغفر لمن نشروا شائعة الدفء في عيون لم تصر بريئة.. هم فعلوا هذا... وحقوق الألم لهم دون غيرهم محفوظة..

_مالك ...

_مفيش...

_ممكن تعيطي على فكرة

_مش عايزة ..

_طيب مالك..

_مفيش حاجة بجد... مفيش

_عشان خاطري عيطي

_وأعيط ليه مفيش حاجة تستاهل.. عادى كبرى

****

يجب على الأماكن أن تغير أسماءها لكي تطابق ما أصبحنا عليه.. لكم تغيرت الفراشة.. تغيرت بحق.. تلك الطفلة الصغيرة أصبحت امرأة صغيرة وجميلة.. الأنثى اكتملت.. سر الخالق قد ألقي عليها لتصبح إحدى مخلوقات إثارة الدهشة والبهجة.. ولكن عليها أن تقاوم طيفك والحنين إليك.. لم لا تكتب؟.. سوف تفتح لنفسها نافذة بعيدة تطل على العالم بكتابتها وبشخصيتها أمسكت قلمها وأورقها وكتبت أولى كتاباتها وهى تبعد قطها الصغير بقدميها..

الآن سأكتب عنه فقط.. إنه هو !.. الحنين.. كنت أعرف مثلك تمامًا أن الأحلام التي نتمنى لها أن تموت.. هي تلك التي إذا تحقّقت اكتشفنا كم هي قبيحة...كان يتخللني.. و يتوه في صدري ..الحنين إليك كمجمرة لها الجمر ولي تعب الانتظار.. حسنًا سأعيد اجترار الذكريات و سأفسّر لنفسي ما يوجعنا.. وإن حدث يومًا أن سألني قطي المدلل .. أهو من فعل هذا بقلبك؟!!..سأردد خلفه بغباء جميل: "صحيح لأن من فعلها هو أنت"!

وهي تكتب كلماتها بكت، تساءلت في حيرة . .لماذا يطل عليها طيفك الآن.. لماذا تصر على إفساد كل قـصص حبـها بوجودك المربك.. تقترب وحينما يحلو لك تبتعد.. أُقدِّر لي أن أقضي ما بقى من العمر في تقدم وتقهقر.. ومحاولات للعـودة وللاقتراب.. وبعد أن تسأم هي من تكرار صورتك وطغيانها على كل قصص حبها وتدميرك لهم جميعًا.. تصر أن تنهي حالة التردد؟. لن تقف أمامك بعد الآن الطفلة الـصغيرة فتمـسك بيديها وتنطق: زعلانة، فتصرخ عيونها بالحب.. سوف تـتغير لابد أن تعود الفراشة للتحليق.. سوف تحلق .. تحلق بعيدًا عن مدارك.

****

لماذا نطلق عليها فترة انتقالية.. لم لا نطلـق عليهـا فتـرة نقاهة؟.. الحب مرض فلنتعرف بهذا وحبك أنت بالذات مرض ومرض قاتل أيضًا لذلك عليَّ أن أبحث عن علاج عن تريـاق للسم الذي يجرى في نبضي ودمى المسمى باسمك ألتفت لأنظر من يصلح الجميع يريد علاقة جسدية فقط أو علاقة لإثبـات الرجولة الجميع يريد تابعًا جميلاً وملفتًا ليس أكثر.. قالها لـك صديق من قبل الرجال الذين يجلسون بجوارك تصيبهم عـدوى الجاذبية ونيران التوهج إلى حضورهم..لا أحد يعلم أنك بحاجة إلى من ترمى أحمالك عليه لا أن يحملك أحمالاً زائدة.. لمـاذا

يدعي الجميع فهمه للمرأة في حين أنهم جميعا يفقدون أبسط قواعد منح الأمان.. من ستختار.. المحاولة لابد أن تكون ناجحة لن تحتملي الفشل مرة أخرى لذلك لابد أن ترتبطي بعلاقة ستستمر من يصلح من يصلح.."صلاح"!! الهادئ الجميل، كم الرقة هذا أليس غريبًا.. ثم أنك تحبني كما أنا.. وهذا هو ما ينقصني بحق، رجل يعشقني لفكري ويحترم تلك الأنثى بداخلي.. ماذا سأخسر أكثر مما خسرت؟.. فلنلعبها بطريقتك.. تذكر هي مكالمة صديقتها التي تنبأت لها بالندم.

_أنا ارتبطت بصلاح

_ إيه؟ ..بتهرجي صح؟

_لا بجد

_إنتِ كده بتحرقي نفسك فاهمة.. إيه الهبل ده؟ ..براحتك إنتِ مبتسمعيش كلام حد..

****

منذ البداية علمت أنها يمكن أن تخسر الكثير.. أكثر مما خسرت بكثير.. علمت أن كل ما فعلته معه كان محض غباء.. منذ أن تحول ذلك الكائن الرقيق الذي كان يتكلم على خلفية النيل... والذي أذهلها بأناقته وكرمه المبالغ فيهم إلى ذلك الكائن المتمثل أمامها.. حينما اشتمت الشهوة من بين رائحة

عرقه التي أصبحت لا تطيقها.. الذقن الحليقة نمـــت.. الرجـــل أصبح ذكرًا في لحظات.. الغريب أنه أصبح يتفنن في ذلهـــا وفي محاولات تغييرها.. أليس هو الذي أقنعها منذ البداية أنه يريدها أن تكون كما هي عشقها حرة.... فلم يستمتع بإذلالها أمـــام أصدقائها الآن؟!.. المقربون منها لحو ذبولها... لماذا يعود ذلك الكابوس الآن؟ لماذا تعود بكثرة إلى اللامكـــان.. وتحاصـــرها أشياء بلا هوية.. تتكاتف عليها لتصل إلى حالة القرب مـــن الاختناق .. ثم تفيق لتجد أنه كان وهمًـــا.. أكـــان يجـــب أن تتحدث عن أمجادك في كل لحظة؟.. إنك تحطمني بحق.. كل ما أحتاجه للنجاة من كابوسك هو الإرادة..الإرادة لطرد ذلـــك الكائن الذي أصبح كل ما يمثله مرادفًا للغثيان.. بدأ من لمـــسته الشهوانية وعينيه اللتين تعريانك بقذارة غريبة.. مكالمتك الـــتي تغتصب الكلمات وتنتهك عرض الحروف وتنهيدات الخلاص القذر.. أصبحت أشعر بالغثيان في كل مرة تتحـــدث فيهـــا.. ولكن كيف.. كيف يمكنني أن أواجه كل هـــؤلاء حـــتى إن أردت الخلاص..

****

لماذا كان يجب أن أظهر أنا الآن.. الإجابة أنه كان من المحتم أن أظهر الآن أو لا أظهر للأبد... أنا الراوي كما تتـــذكرني..

الآن حان دوري في المسرح لذا فعلى الأبطال أن يفسحوا لي المجال.. سأرتدي الملابس الرسمية للحدث وأنت أيتها الطبول فلتدقي ثلاث دقات لمقدمي، ابدئي..

ربما على أن أصفها ببيت شعر.. و لم.. لأنني أكتب الشعر كما ترى..همممم أصفك.. حسنا.. أيجب أن يكون شعرًا..لا لا يجب أليس كذلك حسنا لتكن جملة واحدة فحسب أصفك بها.. أفكارك والجنون وجهان لعملة واحدة وقلبي هو العملة الأخرى التي يتركها ظل عُملَتِك على الأرض.. الأمور يجب أن تحسب بمنطقية.. وبمنطقية يمكننا الحديث لا الاقتراب... لماذا؟

أن تحاول تحليل البشر فهذا ذكاء وأن تحاول مساعدتهم فهذا عطف.. وأن تحاول أن تفكر بعقولهم وأن تحبهم وأنت تفعل كل هذا فهذا هو الجنون، ولكن لنقترب ولنحاول أن نحلل أحداث حياتك بمنطقية ولأساعدك أن أردت.. من قال أني غير معجب بك؟..أنا؟.. من قال.. ولكن من يصدق الشعراء يا سيدتي.. ثم إني سأنساكِ بسهولة للغاية يكفيني أن أجعل أصابعي تقترب من بعضها وتبتعد لأنساك.. صدقيني.. ثم إني نسيت لون عينيك.. ولكن أن أردتِ سأخبرك بكم مرة تطرفان وهما تحدثاني.. فهكذا يصبح نصف الثلج....نارًا!!

****

لماذا أنت منطقي هكذا... تتحدث بصفة الطبيب النفسي المخضرم أنت تبلغ الأربعين على أقل تقدير.. هـا.. تحدثني كابنتك الصغيرة.. و لم لا؟.. سوف أريك أيها المغرور.. تريد أن تقترب و لم لا؟.. اقترب..

_إنت عندك كام سنة

_اشمعنى؟

_عادى سؤال

_ ٢٢.. أنا أكبر منك بشهر

_إيه؟!..

_زى ما سمعتي..

_تعرف إني افتكرتك كبير أوي عن كده؟

_ليه؟

_كلامك أسلوبك و كده

_يا شيخه..قولي كلام غير ده

_هههههههههههههههه

أكنت تحتاجينه بالفعل ليخبرك بأنك حرة في تركـه؟!.. أم أن أرواحنا مقابس طاقة حينما تضعف يلزمها فقط مقبس آخر لكي تعود للاشتعال ..لا يهم، فلتضيفي التجربة إلى جدار الروح ..وها هو شرخ جديد يرقد إلى جوار زملائه، جـرح

يترك أثره بطول الروح أو أكثر.. تنظرين إلى قلبك الصغير، تعب من كثرة الحروب والطعان التي تترك فيه آثارًا لا تُمحى للأبد.. ولكن تلك العاصفة التي أعقبت تركه تهز مركب حياتك بعنف ولكنك تركته وتحررت، فلم تكترثين للإشاعات التي يطلقها عليك أو الكلمات الصادمة التي تتلقينها.. إنك الآن تتنفسين و تضحكين من القلب.. ملعونة هي الدنيا إذا لم تعطنا ما أردنا.. وملعونة قلوبنا إن رضيت أن تحترق تحت أي مسمى.. ولكن لم يقترب منها الجميع بدعوى الحب الآن؟.. ماذا يريدون؟.. جسدها!!.. جلسة واحدة تجمعهم معها حتى يزول الفضول..حتى أنت أيها المتحذلق، الناثر للرعب والطمأنينة في آن واحد في أعماقي ماذا تريد مني ماذا وراء كلماتك المنمقة المنتقاة التي تقطر حنانًا... أتريد أن تخطو على الطريق مثلما خطى مَنْ قبلك؟ ماذا تريدون جميعا ألا إنكم لملعونون جميعًا!.. حتى أصدقاؤك يريدونك بالإجبار أن توصلي كل واحدة منهن إلى حياتها وتعودين وحيدة.. لماذا ينتظر الجميع منك أن تضحى وتمنحي.. وتمنحي وحينما تبكى وتترفي من ألم روحك فعليك أن تفعلينها وحيدة؟!!

****

في البداية كانت رؤية النيران ملهمة للفراشة فكانت تقترب بحذر ..ولكن شيئًا فشيء بدأ الحذر يتلاشى.. ليحل محله الفضول، بدأت في محاولتها للطيران بجانب النيران.. لماذا؟.. لأن الأسطورة هي أن تظل تحلق حتى تحترق.. لترقصي رقصة

أخرى يا فراشتي الجميلة.. ولترقصي بالشجن تلك المرة..ابدئي.

علاقات مكررة وأحداث مملة.. دائمًا ما كانت تتلاقى أعيننا قبل الآن ولكني كنت أقف دائمًا على الحياد ولكن خطوة وأخرى وجدتني أقف في مفترق الطريق بين مدينة الحزن ومدينة الشجن.. وكان على ألا أتردد.. الانتظار على المفترق لا يناسبني.. أنا امرأة يعز عليها الانتظار.. ويعز عليها أيضًا أن تعود لحظيرتك بعد كل تلك الليالي.. كنت قد قررت من زمن نزع ثوب الانتظار والانسلاخ من جلدي والانغماس في زحامهم .. زحام الآخرين ونجحت ولكن الآن لماذا ينهشني الحنين إليك .. أصبحت الآن أراك في كل شيء.. أصبحت فجأة كل الوجوه أنت.. وكل الأصوات أنت.. حتى جلدي اللعين المسلوخ بالرغم مني اكتشفت أنه لم يبتعد بل تروى قليلا وانتظرني ليساعدني في البحث عنك.. أنت.. أنت بعد كل الأيام.. اكتشف أنك لم تغادر قط..حضورك.. ما كان بالقرب منك حضورك كان في كل لحظاتي.. وفي حياتي كنت هناك في ذكرياتي .. قلبت أوراقي ليفاجئني أنك كنت هناك تساءلت وأنا أقرأ.. هل كنت أعلم أنك ستقرؤها ذات يوم.. كنت أكتب أهدى كلماتي إليك .. لا بل اهديني أنا إليك كنت أتساءل وأنا أكتبها وأقرأها: لماذا أنت ؟.. ولماذا أنا ؟؟ صدمني وأنا أقرأ كلماتي سؤال عميق.. عميق.. بعمق تضاريس البوح في روحي : (أأحسن الحديث عنا في كل مرة أتمادى

لهوًا بذاكرتي وشوقي؟ ... أم هي رغبة نسيانك فقــط ؟... أم هو الأمل في عودتك يومًا، لأريك رسائلي وفداحــة غيابــك المر.. وأريك أنني لازلت أحبك وأتنفس شذاك بحق.

****

لماذا يا فراشتي الصغيرة؟.. لمــاذا؟.. كنــت أتأمــل كــل محاولاتك لجذبي تأملتها وأنا أبتسم.. خدعك طــيراني الــدائم فحسبت أنني ذبابة يغريها المذاق الجميل لكي تلتــصق بخــيط العنكبوت كي تمصي عصارتها وتقتلينها.. أنت فراشة ولــست أنثى عنكبوت لكي تجيدي القنص.. وأنا صقر يا طفلتي صــقر لا ألتهم الضعيف.. ولكن لنلعبها علــى طريقتــك.. لــنكن أصدقاء.. حتى وأنت تؤلمينني.. كنت أنتظر.. حتى فاتحتني بأن رائحته تحيط بك.. لم تصدقيني.. الألم لم يخلق كترياق للألم.. الألم والحنين هما مشاعر لا يصلح لهما إلا البعد كترياق والقلب الممزق يصلح شرايينه بنفــسه.. ولكنــك أصــررتِ علــى العودة..فلترقصي يا فراشتي بالحنين الآن ..ارقصي..

ما لم أتوقعه أبدًا بعد انقضاء شهور طويلة أنني قد أعود وأن ذاكرتي لم تتفحم طوال تلك المدة.. حينما أحــضرتك مــن صندوق ذكرياتي فوجئت بذاكرة تكتسحني.... من قــال أن الذكرى..حكر على الأماكن.. ؟؟؟؟ هناك ذاكرة المكــان..

وذاكرة الحدث .. وذاكرة الكلمات .. وذاكـــرة الأرواح .. ذاكرة النظرات.. وذاكرة اللمسة الأولى.. والهمـــسة الأولى.. وذاكرة الجسد.. آه من ذاكرة الجسد تلك.. أتعلم انـــك قـــد ختمت على كل مكان اقتحمته سواء بنظراتك أو بلمساتك .. وسمت جسدي بوسم العبودية لك.. لا أعني عبوديـــة حـــريم السلطان أعني أن جسدي أصبح ملكًا لك... كنت أتوقع كل شيء وأي شيء ألا أن تُسرق مني حواسي فجأة.. بلا بطولات غرامية أخرى! .. بلا أي شيء ..فقط برائحة الحنين.. أيجـــب أن نتخلص من أجسادنا.. حتى نقطع عليها طريق العبور إلينـــا ؟؟؟.. صدمت بأنني في غفلة مني.. سرقت إليـــك.. داهمـــتني رائحة عطرك وبقسوة..رائحة عطر لازمني طوال فتـــرة قـــربي منك.. رائحة العطر الممتزجة برائحة جسدك .. اشتهاء القلب هو ما جلبها إليَّ.. وفاجأني بعدها بتذكر دفء الـــضمة الأولى التقطني إلى حضن أتعبني لليال طويلة.. حتى أعترف – فقط – بشوقي إليك!..وها أنا ذا رغمًا عني .. أذوي شوقًا..برائحـــة الذكرى..بالرغم مني تحســـست كفـــي .. تحســـست حـــتى أصابعي.. كتفـــي .. عنقـــي .. وجهـــي .. و .. أيـــضًا .. جسدي!!..تتبعت حتى شرايين نبضي المـــذهول ..لأكتـــشف أنك تمر بدمائي أيضًا..وأنا أتحسس نفسي .. اكتشفت أنـــني أيضا أحمل ذاكرة على جسدي .. وكأني نصب تذكاري حي

لك .. تبلغهم "عينـــاك" أنـــك .. مـــررت بهـــذه الأنثـــى يومًا..لطالما.. راودني سؤال عن موقعي بين نـــساء كـــثيرات عرفتهن صداقة .. وربما عشقًا .. وربما محض شهوة خالصة هل من في مثل مكانتك يعترف بصداقة؟أو يمـــارس عـــشقًا ؟؟؟؟؟ (وحدهم العظماء تنصب التذكارات لهم) ... وأنت .. كنت عظيمًا في عشقك .. ثم في تحطـــيم حـــبي .. بفـــن القطيعـــة والرحيل!؟ تباً .. متى تتوقف هذه الذاكرة عن اصطيادي ؟

أئذا قطّعت من جسدي كل مكان اقتحمتـــه .. ورميتـــه بعيدًا.. أينتهي الأمر؟؟؟

***

ظلموك أيها القلب....وحمّلوك الحـــب.....ثم لعنـــوك !!!..فلتبوحي يا فراشتي الـــصغيرة ولأسمعـــك ..ولتكتمـــل الأسطورة على أن أصمت وأن أراك وأنتِ تقتربين من النيران لتحرقك

_أنا محتجاله أوى.

_فاهمك ..

_لا مش فاهم.. فاهم يعنى إيه كل جزء فيا بيصرخ بينـــده عليه.

_نعم

_أنا مش بحبه أنا بعشقه افهم بقى.

_واضح.

_وكل اللي حكيتهولي عنه..نسيته.. مش فاكرة أي حاجة..

_لا فاكرة.

أتذكر القسوة .. واللذة اللتين حطمت بهما آخر معاقل حبي وكرامتي... أتذكر حنان اللهفة.. ووداعة القُبلة الأولى.. فعلت أشياءً لا أخجل منها ولكني أرفضها.. أتعلم لماذا؟ لأننا كنا فقط .. خارج نطاقي الوعي ..والرؤيا..كنت قدري .. ومن يفر من قدره؟!..ما لا تعلمه – أنني برغم الاستياء الذي ادعيته حينها.. وحذري.. وفرحي باكتشافي أنك تحيط بي .. تواجهني وتحاصرني بـ (ضمات وقبلة) – أنني وددت لو استزدت منها أكثر .. أنني أبقيت ذاتي عندها.. وأن عمري في لحظة .. تحول مني إليك .. دون أن أقصد !!

ما أكثر ما ألصقت وجهي بصدرك بعدئذ .. لربما سكنت نبضي أبدًا ... واحتفظت بك لأمتلكك لقلبي لي ولي وحدي فقط سألتك أن لا ترحل فرحلت !! لكنه الأمل فقط .. يقبل حين تصطادني ذكراك بنعومة .. والألم فقط .... حين أرتطم موتًا .. بوقاحة واقعي!! ..ما زلت لا أدرك أنني أحرق

ذاتي وأرمي نفسي في بحار من التأنيب .. حينما آتي بك .. من ذلك الجحيم الذي كنته .. يوم قتلتني ! ..تبًا ما الذي يجعلــك أملاً وألمًا ... حين تمر بعيني؟؟!

****

تسألينني أن تعودي يا فراشتي.. ومن أنا حـــتى أتـــدخل في أسطورتك يا فراشتي أنا الراوي فقط لست المتحكم في خيوط اللعبة.. فلتعودي.. من قال إننا يمكننا أن نغير الأقدار حتى لـــو عرفناها .. فلتعودي للتحليق بجانب النيران .. لترقصي بحـــب الألم واستعذاب الطعم المر.. لترقصي يا فراشتي

أتيت بك من مسافة ذاكرة قديمة.. قطعتها ما بين إحساسي بحرارة كوب من القهوة .. .. ووجودك ! لم تكن بأكثر مـــن مسافة عابرة للزمن.. ما تجاوزت من وقتها عمق خيبتي فيك!
والآن وحدي .. أمام كوب قهوة .. وعلى حـــواف موجـــة باردة من الحنين إذا بوجـــودك عميقًـــا يـــشاطرني القهـــوة وحواسي !!ترى .. أي خيبة جديدة حملتها ذكـــراك لي .. في مكان اعتاد لقاءنا .. دائمًا؟؟!!

تردد شد وجذب علاقة لم تبدأ لتنتهي ..أين أنت ؟...أيـــن ذهب فارسها الجميل لماذا تغيرت؟ ...أيـــن رجولتـــك الـــتي عشقتها؟ ..وأين لمعة عينيك؟ أين ذهبت بها؟...كنا قد اتفقنـــا على الغياب واتفقنا على الرحيل ..فلماذا لم نتفق في أن نعود..

كيف ذهبت بل أين ذهبت..من هو ذلك الكائن الممسوخ.. حتى دعاباتك أصبحت .. لا يهم ما يلزمك فقط هو الوقت وسوف تعود كما كنت ..كما أحببتك دومًا..فقط هو الوقت..سأمنحك ما لا يرفضه رجل ..سأمنحك علاقة بلا أي مسئولية..علاقة سأتحمل أنا وحدي كل تبعاتها.. تطلب مني أن أنهي حياتي من قبلك سأفعل ..أن لا أردد شعرًا بعد الآن سأفعل، أن أغير أصدقائي، لون جلدي، أن أطلي غرفتي بلون الحنين إليك، سأفعل، تريدني أن أصبح أنا الطرف المتحمل لكل التبعات حسنًا سأعفيك من أي مسئوليات وسأحمل وحدي كل شيء فقط بالله عليك لا تبعدني عنك اجعلني هنا.. أنا حبيبتك وطفلتك الصغيرة فافعل بي ما شئت فقط لا تتركني

****

أعود إليك أيها الصديق..تعبت من اختراقي للأحداث أليس كذلك؟ ..لا تيأس هي آخر مرات إقحامي لك فيها..أيمكن أن تسرد علي جزءًا من يومك ..لا لست أتحدث عن يومك العادي ..بل عن يومك بعد أن عادت إليك..أيمكن أن تلتفت إليّ..المسرح معد لك ..فابدأ.

أستيقظ من النوم أسحب سيجارة الحشيش ألتقط منها أنفاسًا وأبتسم -الحتة دى هايلة دماغها رهيبة – هاتفك لم

يتوقف عن الرنين ..إنها تتحدث..أحدثها قليلاً...وأغسل وجهي المرهق من أثر النوم..وأذهب للعمل أنت تعرف بالطبع كيف يصبح يومك حينما يكون عليك أن تعمل اثنتي عشرة ساعة متواصلة!

الاشتياق يكون لسريرك لا لشيء آخر.. اليوم كان قبلها عمل وبعض النساء وسيجارة الحشيش.. وأصبح بعد عودتها سيجارة الحشيش ومكالمتها والعمل... لكنني أشعر بالملل يجتاح كياني... ربما لا ليس الملل.. بل الرغبة في شيء جديد.. لم أرجعتها من صندوق الذكريات الآن لا تعلم هي لا تكف عن المحاولة كطفل يتعلم الحبو.. وحياتك أصبحت مجرد معادلة لا تحتمل وجودها..تلتقط هاتفك لتحدثها:

ـآلو..

ـأيوه يا...

تقاطعها:

ـأنا محتاج وقت

ـإيه؟

ـمحتاج وقت.

ـوقت لإيه بالضبط؟

_وقت عشان أفكر في علاقتنا و...

تقاطعك:

_نعم وقت ...

_أيوه يعني محتاج إننا نبعد عن بعض فترة وكده، إحنا ينفع نبقى أصحاب..

_لا متفكرش..سلام

****

الألم يا فراشتي .. الألم هو ما تنطق به عيناك الآن .. خيبة الأمل الممزوجة بالألم هي أقوى مما تستطيع أجنحتك أن تتحمله لتتوقفي عن الرقص قليلاً ولتريحي شجنك وجناحك الذي تعب من كثرة التحليق هنا على يدي.. لأنزل أنا إلى قلب الحدث ولأتخلى عن دور الراوي قليلاً..

_ أنا موجوعة أوي..

_عادى..الألم مهم عشان تطهري الجروح..

_جرحني أوي..ابن الـ(...) بجد .

_ممكن تتكلمي على فكرة..

_وممكن أكتب..

_ممكن..

****

أتريدين أن تحلقي يا فراشتي.. حلقي وارسمي بلون الحنين والوجع أحلي ألوانك.. ولكن هل ألمح احتراقًا بين جناحيك أم هو انعكاس الضوء في عيوني.. حلقي بأي لون تحبينه يا فراشتي الصغيرة ...

أيكون الألم هو ما ينطق أوردتنا فيأمرنا بأن نحترق وجعًا... أم نحن من يطلق بإرادتنا دفقات من الحنين والوجع إلى جوارحنا ؟؟ ركضت بالحياة .. وآلمتني.. أحرقتني بإرادتي أو بالرغم مني.. أتلك هي النهاية؟.. لم تصبح النهايات التي وضعوها لي دائمًا بفعل فراق أو بفعل غدر أو قدر نهايات مملة.. لم قدر لها دائمًا أن تمنحني الإحساس باللامبالاة ..مربك حضورك الآن أيها الألم مربك أن تصبح مزيجًا مع اللامبالاة، من يا ترى كان سيحاسبنا على ذاكرة نحملها بمفردنا.. ببساطة لا أحد فقط كنت أفتعل الأحداث لأرتمي في نيران ..أنا لم أجرح منك لماذا لأنك ببساطة أنت لم تعد أنت ...حتى لحظات مرورك المربكة جدًا انتهت..أنت لا تفهم أنت فقدت احترامك لذاتك ففقدت أنا احترامي لك.. إلا أنني كنت قد بدأت أعتاد التنبؤ بأشياء كهذه منذ فترة، منذ محاولتي الأخيرة للعودة.. واعتدت أكثر سماع صدى انهياري بالداخل كلما استبسلت في مقاومتك بادعاء حبك دون قصد.. أو الانجراف بموت نحو شوقك دونما قصد. ولكن بدون قصد لم تعد أنت

****

لماذا على دائمًا أن أتخلى عن دور الراوي..يـــصيبك هـــذا حتمًا بالتشتت كما يصيبني أنا أيضًا.. ولكن لابـــد أن تعتـــاد ذلك فطبيعي أن أنهي أنا الأسطورة كما بـــدأتها.. لأعـــود إلى مسرح الأحداث مرة أخرى!

_ بيتصل ..

_ إيه؟

_كل شوية بيتصل كل شوية...

_طيب إيه ما تردى

_وأرد ليه..وبيتكلم من نمر غريبة كمان

_ غريبة دي ..

_هههههههه..نتكلم جد شوية بقى ..إنت بتحبني؟

_إيه..

_سمعت.. بتحبني؟

_وافرضي..

_مفيش فروض..

_ولو

_طيب وبعدين

_مفيش

_اخطفني...أنا عارفة إنك تقدر بجد اخطفني من اللي أنـا فيه أنا عايزة ألقى نفسي تاني عايزة أرجع بجد.

_مينفعش..

_ليه

_لأني ما أستاهلش كده منك عارفة إيه الفرق بين الصقور والنسور؟

_الاثنين بيطيروا

_الصقور والنسور طيور جارحة وبرغم إن الاثنين لـيهم نفس الكبرياء إلا إن النسور بتآكـل الميـت... أو الـضعيف الصقور بترفض ده مش بتلتهم فريستها غير وهي قوية...

_فهمت وإنت إيه بقى

_أنا صقر مينفعش أبقي نسر بجد مينفعش.. أنـا هقـف جنبك لحد ما ترجعي تاني ساعتها لو اخترتيني هبقى سعيد إني أكمل عمري معاكي مش سعيد بس لا فخور كمان

_يمكن

_لا أكيد

****

ثمـــة أنــــاس .. تخنـــق ذكـــراك قلـــوبهم .. فيحيـــون!
وثمـــــة أنــــــاس.. تخنقـــــك ذكـــــراهم....فتمـــــوت!!
وما بين حياتهم وموتك .. تصير قبرًا يلتحف بنفسه، تعد كـــم شخصٍ مر بك وسكنك ... ولا تعي أنك من خلالهم أيضًا.. تدفن روحك!!

في الأساطير القديمة حدثونا عن فراشة.. فراشـــة حلقـــت وحلقت وأبدعت اقتربت جابت الأرض والعالم وعنـــدما رأت النيران اقتربت واقتربت لتحترق... فقـــط حينمـــا التقطتـــها يداي.. قبلتها وأطلقتها..... حينما كتبت الأســـطر بـــأعلى سألت نفسي

ما ذنبي إن كان حبّك هو ما قدر لي..!!

وما ذنبي إن طعنك أحباؤك من قبلي !!..

وما ذنبي إن كنت لا تعـــرفين مـــاذا تريـــدين ... مـــن الأساس!!.وما ذنبي إن كان خطئي أن ما هو مباحٌ لي .. محرّم عندك!!

طارت حول أذني وهمست بهم لأنك أحببتني وهـــل بعـــد الحب ذنب!!

ساديزم

" الطريق ليست كالملامح ..الملامح ترسمها الوجوه من حولك ..أما الطريق .. فتحفر نفسها عميقًا من تحت قدميك فلا يبقى لك سوى أن تسلكها ..!!"

"جزء من القصة"

السادية مصطلح يستعمل لوصف اللذة الجنسية التي يتم الوصول إليها عن طريق إلحاق أذى جسدي أو معاناة أو تعذيب من قِبل طرف لطرف آخر مرتبطين بعلاقة من أي نوع، سميت بالسادية نسبة إلي الماركيز "دى ساد" الأديب الفرنسي المشهور والذي تتميز شخصيات رواياته بالاندفاع القهري إلي تحقيق اللذة عن طريق تعذيب الآخرين والسادية تعني الحصول علي المتعة من خلال ألم ومعاناة الآخرين سواء كان ذلك نفسيًا أو بدنيًا أو جنسيًا

****

_سيدي.. أنا أحبها أحبها بحق..

لا تنظروا إليَّ كمجنون فقد أنفقت عمري بأكمله..منـــذ كنت طفلاً صغيرًا وأنا أحلم بها

سيدي.. لطفا أعدها إليَّ لماذا تنظر إلى يــا ســيدي ممثــل الادعاء بكل تلك السخرية هي ملكي فأعيدوها إليَّ والآن.

***

حسنا لم أعرفك بنفسي بعد ...أنا مجرد ((مغفل)) مغفــل ضاجع غبــاء تــصرفاته، اســتخدمه الكــثير ممــن حولــه خبــثهم..غــدرهم...مكنــه مــن إتقــان ســلاح الضعيف.......الحيلة...والخبث لعبة الضعيف التي غالبًــا مــا تقهر الأقوياء

****

_إنت و"سارة "؟

_إنت ..أنت يا "شريف"..صاحبي الوحيد..

_صدقني الموضوع جه كده... أنا حاولت كتير بس هــي كانت

لحوحة أكتر من اللازم.. بص أنا هقطع علاقتي بيها..

_لا.. ليه؟..

_مش ليه..أصلاً كل الموضوع إنها بدأت تقرب مني وأنــا بجد مش لاقي فيها عيب و.. ..

_خلاص ..يا "شريف".

_خلاص إيه؟!.

_مبروك...

عندما لمح نظرات الانكسار في عيني صديقه.. ابتسم

****

كنت أعلم أنها خانت "إبراهيم" معي.. وأنه لازال يعاني من أوجاع قسوتها التي استخدمتها في صناعة كلمات آخر لقاء ختمت به مسلسل حبهما مُعا..ولكنني تعمدت أن يعلم بالأمر.. كنت أتلذذ بما يحدث _ أتذكر الأمر بفخر الآن_ حينما زرعت بينهما بذور الكراهية وأنا أبتسم. .. الأمـــر كان ممتعًا للغاية .. المشكلة كلها كانت تكمـــن في الاختيـــار الآن..بمن سأبدأ؟!.. بها؟.. أم به؟!.. ولكن لأن "إبـــراهيم" _ الذي كان يفتخر بقوته_ كان يحبها أكثر مما ينبغي.. لـــذلك أصررت على أن أرى في عينيه الانكسار..قبل أن أجهز عليها هي.

****

_إنت ساكت ليه؟

_ لا مفيش..

_مفيش إيه؟.

_زهقت.

_من إيه؟!

_بصراحة؟

_آه.

_منك.

كلامك مكرر إنتي نفسك شخصية نمطية جدًا..بصي يـــا "سارة" بصراحة أنا شايف إننا غلطنا.. لما قربنا من بعـــض.. تفتكري ممكن نفضل أصدقاء؟.. بجد أنا مش قادر أكمل.

وهي تبكي وتنهض لتبتعد.. أشعل ســـيجارته وابتـــسم في رضا.

****

تعلمت الدرس منذ البداية .."أنا أشتهي ما في يـــديك إذن يجب أن أحصل عليه" .. مهما كلفني الأمر.. المهم في النهاية أن أنتصر عليك حتى وإن لم تنازلني فأنا سأهزمك.. لا بل سأجعل نفسك تهزمك.. وأنا سأظل بجوارك الصديق المخلص في حـــين أنني أنا من يدمرك.. بل وأتلذذ بأن أدمرك...

****

الطريق ليست كالملامح ..الملامح ترسمها الوجوه من حولك.. أما الطريق .. فتحفر نفسها عميقًا من تحت قدميك فلا يبقى لك سوى أن تسلكها ..!!

لا أتذكر تحديدًا متى بدأت أستمتع بذلك؟.. ربما يوم رأيت أبي وهو يهوي على وجه أمي بالصفعات .. من خلف باب غرفتي.. أو ربما حينما لمعت عيني وأنا أنظر لعربة جارنا التي قذفتها بالحجارة ليصرخ البائس.. حقيقة لا أعرف تحديدًا!!.

حتى في مناولتي للحب أو الجنس كنت أستمتع دائمًا بالعنف..كيف يمكنك أن تقبل حبيبتك بدون أن تجذب شعرها؟..كيف لا تستمع وهي تضرب؟.. صدقني هكذا يجب أن تضاجع الدنيا والنساء.. بالقوة والقوة وحدها.

****

ـ"شريف" .."شريف محمود"..

ـأيوه تعرف إيه عنه؟..

ـشخص غريب أوي يا باشا.. ساكت على طول وكلامه تقيل ويخوف مش عارف ليه.. بس أنا على طول كنت بخاف منه.

****

أذكر ألمي من قبضة يدك حينما ضــربتني .. لم أســتطع أن أرد عليك ضربتك ..أنت الأقوى...لذلك يومها ابتسمت أصررت أن أصبح آخر غير ذلك الضعيف... حسنا أنـا سـأهزمك.. وهزمتك..! واستمتعت وأنت تتلقى اللوم مرات كثيرة تكـاد تجن تنظر حولك لا تعرف أن صديقك ومستشارك الصغير هو من يفعل بك كل ذلك..حسنًا!!.. بالخداع وحـده تـصنع لنفسك حربًا من الوهم..!

****

حلمي بسيط للغاية حلمي هو أن أصبح كائنًا من نار ولكـن مرئي.. تخيل.. حينما يصبح عدوك كائنًا ناريًا!.. مهما كانت قوتك فإن ضربك للنار حتمًا سيؤلمك بينما سيجعلها تتراقص قليلاً مع ترنح الهواء وبضع من الشرارات تفيد غرور النار..
لا يستطيع أحد مهما بلغت قوته أن يقف بثقة أمام النار لمـدة نصف دقيقة!!! أليس حلمًا رائعًا لا بزوجة أحلم.. ولا بطفل.. كل هذا هراء! بل حلمي هو أن أصبح من نار..

****

_"شريف محمود".. آه طبعًا أعرفه من وإحنا صـغيرين وهـو جارنا بس كان لوحده حتى وهو بيلعب كان بيلعب لوحده.
بس كان عنيف شوية ...لا عنيف أوى

بس اللي كان بيميزه إنه على طول ساكت.. يعني بينطـق حرفين تلاتة بالكتير أوي!

****

ترى.. هل لو أصبحت نارًا؟.. هل سيستطيع الناس إحصاء أخطائي؟.. هل سوف يلومونني على أي شيء؟

النار كائن مقدس.. والجميع يستمتع بالنار.. حتى وهي تؤلمهم!.. لماذا لم أخلق نارًا منذ البداية؟!!

****

في كل صباح كنت أقف أمام محطة مترو الأنفاق.. أقـرأ جريدتي وأقرأ البشر أهوى أشكالهم وألوانهم....أتأمل فقـرهم وضعفهم فتصيبني رعشة وأشعر بنـشوة وبقـشعريرة بـاردة تزحف على عمودي الفقري فتجعلني أنتشي، أتأمـل صـعود الركاب ونزولهم لهاثهم وراء لقمة العيش..ترى لو استطعت أن أجعلهم جميعًا عبيدي ..وأن أقف بكرباج كبير فأجلدهم جميعًا كم سيكون الأمر ممتعًا حينئذ؟!

من حين لآخر أمد قدمي ما بين الزحام فيـسقط مغفـل آخر.. وأنظر إليه وهو يحاول أن ينهض ينفض التـراب مـع كرامته.. وأنا أبتسم.. لا يمكن أن تمنحك الحياة كل هذه المتعة

ببساطة... أنظر إلى ساعتي حان وقـت الـذهاب للعمـل ..
الجميع يهابني.

هناك ..أستمتع دائمًا بإيجاد الأخطاء وبإلقاء اللوم ..ولكن حتى ذلك الأمر البسيط أخذوه مني.. بأن جميـعهم صـاروا منضبطين _ ربما أكثر من اللازم_ وبدأت أنا أفقد اسـتمتاعي بإشعارهم بالنقص ..كم هي مملة تلك الحياة!.. لابد من وجود متعة أخرى؟.. يا إلهي!.. لما لم أخلق نارًا منذ البداية؟!

****

هي!!.. ومن تكون هي من الأساس؟.. إذا قورنت بـه.. مجرد ممرضة في عيادة طبيب نفسي نـصف مـشهور.. جـل أحلامها فارس أحلام بسيط.. تعتقد صديقتها بأن حبها لعلـم النفس هو ما يجعلها تعمل هنا..لا يعلمـون أنهـا لا تهـوى المجانين.. بل كل ما في الأمر أن الوظيفة بمرتب مغرٍ وقريبة من المنزل فقط.. بالإضافة إلى أن فقر أسرتها وحياتها البائسة جعلها فقط تنتظر يوم أن يأتي ابن الحلال لينقذها من ذلك البـؤس..
لماذا لم يأتِ إلى الآن؟!

****

لا يمكنك أن تشعر أبدا بما أشعر اليوم.. لا يمكنني أنا نفسي أن أصف لك حتى الشعور.. تحتاج أن تكون قطًا يقف علـى

مخالبه منذ شهور ووجد فأره الصغير في النهاية!!.. تحتاج أن تصير وحدك في صحراء لشهور ووجدت بئر ماء وواحة.. تحتاج أن تكون أشياءً كثيرة ...ولن تقدر حتى على أن تفهم...حينما رأيتها!!

حسنًا.. هي من سوف يدخل شيئًا جديدًا إلى حياتي البائسة... وهي تساعد تلك العجوز بهالة الملائكة التي تكاد تنير رأسها ..وهي تخطو وتمنح العابرين ابتسامة بدون سبب.. حسًنا.. يا صغيرتي ...أنتِ من انتظر!

****

سوف تسقطين.. قوانين الجاذبية تقول إن التفاحة سوف تسقط.. وقوانيني تأمرك بأن تقعي صريعة حبي الآن..أنا آمرك.. لا تستجيبي!!.. حسنا سوف أدمرك..سوف ترين.. لسوف ترين ماذا سوف أفعل!

****

مر أسبوع وأنا أتابعك ..ولا تلتفي إليّ.. حتى لا تنظري إلى أحد!.. فقط تنظرين إلى الطريق أسفل قدميك.. الصيد صعب كل يوم أجلس ..أنتظرك.. وأنت تصعدين إلى عملك.. وأتابعك إلى أن ترحلي.. أدخن وألاعب النار براحتي وأصبر

نفسي إلى أن فقدت الصبر على أن أصعد والآن ..حسنا ها أنا ذا أمام الباب!

دكتور "محمد المستنصر بالله" دكتوراه في الأمراض النفسية والعصبية.

تعملين هنا؟!..حسنًا.. حسنًا أنتِ لم تلتفتي نـــاحيتي مـــن الأساس.. عندما قدمت لم تلاحظي طوال الأسبوع من يحصى عليك الأنفاس.. حينما وجدتك تبتسمين لي مـــرة أخـــرى.. شعرت بنشوة تجتاح كياني فتعصف به.. نشوة من بدأ يـــرى الصيد يدخل إلى الشباك وهو مبتسم.. حسنا يا صغيرتي سوف ألتهمك.. بالله لا تدعيني أنتظر أكثر من ذلك واسقطي!

****

_يا ترى دكتور "محمد" موجود؟

نظرت إليه:

_آه..

_ممكن أحدد ميعاد.. ولا ممكن أقابله النهارده على طول؟

_لا.. ممكن تستناه شوية..حضرتك المريض؟.. ولا واحد قريب حضرتك؟.. لو قريبك يبقى لازم يكون معاكي.

ـلا.. أنا بس بحلم أحلام مزعجة وكنت عايز الدكتور يساعدني.

ـطبعًا.. طبعًا.. اتفضل..شاي حضرتك إيه؟

نظرت في عينيها الخجولتين:

ـمضبوط.. مضبوط أوي.

وابتسمت.

****

النار لها قانون واضح وصريح.. أما البشر فهم ضعفاء ولا يتحملون أن يصيروا للحظة صرحاء.. أو بنمط واحد آيا يكن!!

ما ذنبي أن جسدي خلق هشًا؟... ولماذا لم أصبح من جمراتها أو أحد موجات لهيبها المتأجج؟.. ولكن عقلي كان كجمرة منها.. من النار!.. انتظر يا طبيبها المختال بعظمة الطاووس.. تريد أن تحللني!..تريد أن تلعبها معي!؟.. لا أظن من يلاعبني لابد أن يلعبها على طريقتي..

ولكن لماذا لا أعطيك الفرصة لتختبر ذكاءك؟..حسنا.. ابدأ اللعب.

****

_أستاذ "شريف" صح؟

_أيوه.

_اتفضل حضرتك ارتاح.

_مش المفروض أنام على الشيزلونج؟!

_هههههههه.. لا طبعًا.. مفيش مفروض.. اللي يريحك اعمله.. عايز تمدد على الشيزلونج؟

_لا أبدًا.. بس أصلي بشوفهم في الأفلام بيعملوا كده.

بابتسامة الطبيب العارف الممسك بزمام الأمور أنهى سخريتي.. والتفت إليّ:

_ها ..خير بقى؟

****

"قانون الجاذبية يأمر التفاحة أن تسقط وأنا آمرك أن تسقطي و الآن.."

****

_تعرفي الدكتور قالي إيه؟

_لا معرفش.. يا أستاذ "شريف".

تقولها وهي مبتسمة.

أنتظر قليلاً أنظر إلى العيون الجميلة والوجه الذي يشي بسوء التغذية برغم مساحيق التجميل.. والجسد المتناسق.. والحذاء البسيط.. أسحب نفسًا من سيجارتي وأنفخه بالقرب من أذنها.. وأنا أهمس بالقرب منها:

_قالي إن حل مشكلتي في الجواز.

مع ابتسامتها لمحت خدودها والدم يملؤهم ليشي بالخجل وبأشياء أخرى!

****

غريب أمر شريف هذا!!..منذ أسابيع أنا أتابع سلوكه وتصرفاته.. لا شك أنه يمر بمشاكل نفسية.. أنت سايكو أليس كذلك؟ حتى وإن جعلتك تمر باختبارات الإسقاط، والرسم، لن أعلم ما هي درجة مرضك.. تلزمنا فترة أطول.. لابد أن نقترب أكثر.. لابد أن تضع أنت أول الحروف وتدعني أكمل ما بين النقاط.. حسنًا فلنبدأ!!..

_بتعرف ترسم يا "شريف"؟

_لا مش أوى يا دكتور؟

_طيب تحب نلعب شوية؟

_نلعب!!

_آه ...بص دي ألوان واختبارات بسيطة.. ممكن تساعدني فيهم؟.. ارسم أي حاجة أول حاجة تيجي في بالك ارسمهـا.. تقدر؟!

_آه طبعا

جميلة هي ألعاب ذلك الطبيب.

حسنًا.. لولا أنه لزج، لكان من الممكن أن نصير أصدقاءً.. لم تتسع عيناه وهو ينظر إلى نتائج الاختبارات؟!!

****

حسنا فلتعترف.. المشكلة كلها يا "شريف" كانت أنـك أحببتها!!.. غريبة أن تحتل حياتك أنت بالذات ممرضة بـسيطة في عيادة نفسية!.. وعائلتها ربما لا تملك قوت يـومهم!... لا يهم.. المهم أنك أحببتها...وهى تستجيب لكـل رغباتـك.. تنصاع لتتلقى اللوم.. وتبرر كل تصرفاتها.. حـتى الطبيعيـة.. وتبكى في حضرتك.. هكذا يجب أن تكون المرأة.

ربما سوف تندهش من رغباتك الـشاذة قلـيلاً.. ولكـن بصمتها وتبريراتها ومحاولة إخفاء ربكتها ورعبها في حـضرتك ستعتاد.. سأتزوجها!

****

لم تصارح "سمر" أحدًا بمكان مقابلتكم الأولى، من سيهتم بذلك أصلا!!.. الطبيب نصحها بأن تلتزم العقل قليلاً..هو يشك أنه سايكو.. من سايكو هذا أساسًا؟.. طبيبها هذا يغوي دائما أن يتكلم بالألغاز.. لقد جهز لها قصرًا!!

قصرًا لم تكن تحلم بمثله.. فلماذا ترفض؟.. بل قل لماذا تفكر أصلاً؟.. صحيح أنه غريب للغاية ويستمتع دائمًا بجعلها تبدو غبية وضعيفة.. ولكنها لم تعارضه قط.. كيف تعارضه وهو حلمها بأن تخرج من حياتها التي كرهتها؟.. وماذا جنت هي من الكلام المعسول من قبل إلا الانتظار إلى أن قاربت الثلاثين بدون زواج؟!..ستكون غبية إن رفضت عريسًا كهذا!

****

ليلة فرحهم كان صامتًا للغاية لم يشارك في الرقص ولا في غيره!!.. انبهرت عائلتها بالفندق الخمس نجوم.. وبفستان الفرح الذي تكفل هو بإحضاره.. لم يدعها تنهض حينما أشارات لها ابنة خالتها لتشاركهم الرقص بنظرة مسح الفكرة ووضع مكانها رعبًا كان كافيًا لتنهار فكرة وقوفها على قدميها من الأساس.. حتى حينما جلسوا في السيارة التي استأجرها لتلك المناسبة طوال الطريق لم ينبس بحرف..

وهى تصعد السلالم وضعت ألف فكرة وحلمًا لما سيحدث بداخل غرفتهم.. وهى تحل أسر شعرها.. وتخلع

فستانها..وتعطر جسدها ـــالذي أرّق نومها كـــثيرًاـــ كانـــت تفكر في كيف سيبدأ هو.. تضع العطر وتبتسم.. وهي تتذكر كلمات أمها وخالتها وأصدقائها.. ابتسمت وهي تتذكر كـــل تلك الأشياء.. مجرد وجودها مع رجل أساسًا يـــضع مليـــون احتمال.. ولكن لماذا يبتسم هو بهذا الشكل الغريب إنه يجرهـــا جرًا!

فوجئت به يقيدها...أحست أنه يقهرها لا يقبلها ..يكسر عظامها لا يحتضنها....في لحظات انتهت كل أحلامها أصـــبح كل أملها هو أن تنتهي من هذا التعذيب..صـــرخت حينمـــا لمست ســـيجارته المـــشتعلة جـــسدها..نظـــرت في عينيـــه وصرخت..وهو يضحك ويكممها ..دخلت في شبه إغماءة.. حربًا ضروسًا ما يفعله ليس حبًا ولا زواجًا ولا أي شيء بـــل حرب والتهام تعذيب بدون ذنب أغمضت عينيهـــا وبكـــت بدموع تنتزعها من آلام جسدها.. وهى تلعنه وتلعـــن كـــل شيء.

ودخلت في إغماءتها مرة أخرى .. حينما انتهى.. أحست بانتهائه حينما لسعها بسيجارته وهو يضحك بشدة.

****

ـــاصحى يا "شريف" .. أنا خايفة.. شريف.

_مالك يا "منى" ؟

_بابا جه.

نظر من الباب هو وأخته "منى" وهم يرتجفون.. كان يحادث أمهم نظروا من خلف الباب المغلق إليه..

_أنا يا بنت الكلب يا زبالة؟.. أنا مش بصرف عليكي؟.

_كفاية يا سي "محمود".. مش هتتكرر تاني.

_تاني؟.. هو أنا لما أسيبك هيبقى فيكي حتة سليمة أصلا؟

وأمام عيونهم الخائفة انتزع أبوهم الآيش (حزامه المـــيري) ونسله أمامهم على جلد أمهم وهي تصرخ.

****

سوف تؤنبه وبشدة... ربما كان مخمورًا بالأمس..بالتأكيد كان مخمورًا ...لا عقل سليم يجعله يفعل ما فعله... جسدها

به كدمات لا تراها ولكنها تشعر بها .. لا تستطيع الوقوف على قدميها حتى..!

_لماذا؟!..

سؤال واحد هو ما كان يلح عليها.. لماذا؟

سوف تشتكي لأمها.. بل للجميع!.. لن تسكت.. سوف تتركه مهما كلفها الأمر..رماد سجائره لازال عالقًا بجسدها.. إنه مجنون!.. بحق مجنون!!

****

أظهر حبه لها الأمس بحق.. يا الله!!.. كم أصبحت الحيـــاة ممتعة!

لأول مرة تشعر بأنك نار وتحرق من تحب وهـــي تحتـــرق وبكل بهاء...حسنا بأشياء بهذه الصورة تكتمل... أمس يا لهـــا من ليلة!!

لم تستمتع منذ سنوات بهذا الشكل.. أغلقت الباب خلفك بالمفتاح وأنت تهبط.. وفصلت الهاتف بعد أن جعلتها تحـــدث أمها أمامك... الليلة ستفاجئها بحق.. أحضرت كرباجًا كـــبيرًا وعصا.

اليوم يا عروستي الجميلة هو الاحتفال الكبير.

****

حينما عرض عليك أن تحدثي أمك لم تستطيعي أن تنطقي بأي حرف.. لا بالاعتراض ولا بأن تنهريه..عيناه هما رعـــب يجعل جل أمانيكِ هو أن تبتعدي عن مرماهما!

تنظرين إليه وأمك تتحدث فرحة بك.. برؤيتك عروسًــا.. لم تستطيعي أن تنطقي لها بحرف وهي تسأل بخبث عن نومك ليلة أمس..وحين أنهى المكالمة وخبأ الهاتف..بكيت.. ولكــن فكري قليلاً بعد أن رحل حتى وإن كان قد تركك تتحدثين.. كيف كان بإمكانك أن تدمري كل تلك الفرحة؟!.. كيــف تستطيعين أساسًا أن تصارحيهم؟.. بأي كلمات سوف تصفى بها حالته..وكيف يمكن أن تتقبل أمك أن زوج ابنتــها مختــل وللغاية!!

كيف يمكنها أن تتخيل أن ابنتها ترتعد من رؤية من حسبته فارس أحلامها .. حينما تنتابه تلك الموجــات..يتحــول إلى وحش كاسر لا يــشرب إلا مــن دمائهــا.. ولا ترويــه إلا صرخاتي.. يستمع إليها في استمتاع كعاشق ..هو مجنون بحق.. في الطبيعي يكتفي بتوبيخك ...ولكن حينا ينظر إليك بنظرته

يا الله أما من نهاية؟.. أما من نهاية!!

***

كنت قد أيقنت من أن شريف سادي..ســادي بحــق.. لم أكن أعلم أين اختفت "سمر"؟.. منذ فترة وهــي لم تــأت.. علمت أنها تزوجت وأنا في رحلتي لحضور المؤتمر.. ولكــني لم أتخيل أبدًا حينها بأنها خالفت نصيحتي بأن تتــروى.. بــل لم

أتذكر الموضوع من الأساس.. لو فقط تروت!.. وسألت عما تعنيه كلمة سادي.. حينما راجعت حالته وأنا في الطائرة وفي فندقي.. حينما أفرغت الشرائط.. تأكدت من صحة تحليلي الأول له.. كلماته حول النيران ونظرية الألم والاحتراق.. تأكدت من أنه سادي نموذجي.. بل ومن النوع الأخطر.

ليس من النوع الذي يستمتع بإلقاء اللوم بل إن ضرره بالتأكيد يتعدى ذلك!

لو كان الأمر بيدي.. أو لو كنا في انجلترا مثلا أو أي دولة تعلم أهمية علم النفس.. لكنت كتبت توصية بأن يحتجز لدفع ضرره عن المجتمع... ربما.. ولكنك تعلم دون غيرك أن ذلك مستحيل.. مستحيل كما هو مستحيل أن تعالج الشخصية السادية أو أي فرع من الفروع السيكوباتية عمومًا!!

*****

_لذلك فكما ترى يا سيدي القاضي أن المتهم وعلى مدى أسبوعين متواليين حبس تلك البريئة وقام بتعذيبها وهو ما كشفه الطب الشرعي ..ليجدها في النهاية جثة من آثار خنقه وتعذيبه وحرقه لجسدها بالسجائر المشتعلة...سيدي إنني هنا لا أطالب بأقصى عقوبة للمتهم فقط بل طلبي أن نرحم أهالي

الضحية من حزنهم وأنهم في عروسهم التي خرجت من بيتــــهم عروسة لتعود وهي جثة

الدفاع..

قبل أن يتقدم المحامي الذي عينته لي المحكمة أرفــــع يــــدي مستجديًا:

_ يا سيدي.. هل يمكن أن أدافع عن نفــــسي؟.. أيمكــــنني ذلك؟.. حسنًا.. أيمكنك أن تسمع أقصوصتي؟.. أنا يا سيدي النار..النار التي تشعل بها سيجارتك ..وعروستي أنا أحبــــها.. أحبها بحق ..

لا تنظروا إلى كمجنون فقد أنفقت عمري بأكمله..منــــذ كنت طفلاً صغيرًا وأنا أحلم بها

سيدي لطفا أعدها إليّ.. لماذا تنظر إليّ يــــا ســــيدي مثــــل الادعاء بكل تلك السخرية!!.. هــــي ملكــــي فأعيــــدوها إليّ والآن..كل ما في الأمر هو أنني لعبت معها قليــــلاً.. كنــــت أضغط على عنقها...أضغط وهي تصرخ لا يمكنك أن تتخيــــل المتعة ..وفجأة كما تسقط لعبة الطفل الصغير حينمــــا تنتــــهي حجارتها..سقطت هي.. هذا هو ما حدث سقطت فحملتــــها وزنها أصبح كالريشة لا أعلم لماذا مع أنني أحضرت لها طعامًــــا

كثيرًا ..أخذت أحدثها وأهزها بل وأضـــربها حـــتى وهـــي لا تستجيب..حينها أخذت في الصراخ والبكاء.

سيدي فضلاً أعدها إليّ من فضلك يا سيدي ..لا تنظر إليّ كمعتوه..أنا النار.. أيمكنـــك أن تلـــوم الـــنيران علـــى أنهـــا أحرقتك؟!!..أنت من غرك لونها المبهر فاقتربت لتحترق..

يا سيدي أعدها إليّ من فضلك والآن ...

"آسر"

"إن" النفوس هي بيوت أصحابها، فإذا طرقتموها فاطرقوها برفق"

"علي ابن أبي طالب..كرَّم الله وجهه"

قبل البداية :-

مرض "التوحد" هو نوع من الإعاقات التطورية، الـتي تـصيب الأطفال وتسبب متاعب كثيرة لهم ولأسرهم ويـسبب مـشاكل في التفاعل الاجتماعي، وتأخرًا في النمو الإدراكي، وفي الكـلام، وفي اكتساب اللغة لدى الطفل، وضعف في العلاقات الاجتماعية مع من حوله، يتصف التوحد بوجود حركات متكررة للطفل، و اهتمامات محددة.

* * *

مع دخول "علاء جودة" اليومي من باب الشركة الرئيـسي بقامته المتوسطة نسبيًا وبذلته الأنيقة للغاية ونظارته الشمـسية الباهظة الثمن.. يسري التوتر في أرجاء الشركة كلها، كمـا تسرى النار في مستودع للأخشاب برعاية الريـاح الهادئـة.. الموظفون الهادئون يتحركون، بسرعة كبيرة بنـشاط وهمـة، وخوف ظاهر بين مكاتبهم في تساؤل عما سيفعله بهم دراكولا اليوم!

*****

ما الضرر في تعريف بسيط؟

أنا "علاء أحمد جودة".. أبي هو "أحمد جودة" أحد أكبر المهندسين في مجال التصميم المعماري، أو هكذا أعلم عنه.. لم نتحدث في عمري إلا في المناسبات الضرورية للغاية، برغم أني ابنه الوحيد إلا أنه هو وأمي ..، تركا تربيتي لجدي اللواء الأسبق في الجيش، تعلمت من جدي عدة نظريات..

نظريات عن ماذا ؟... عن الحب، والعواطف، والمشاعر، والحياة، مالها الحياة؟.. الحياة هي معادلة رياضية بسيطة،..١+١ =٢.. ولمسايرة الحياة لابد أن تجيد اللوغاريتمات.. العواطف؟... العواطف هي وقود مركبة الأغبياء والضعفاء في طريق الحياة...والمشاعر والأحاسيس هي ملاذ الضعفاء... والعطف والطيبة هي مبررات، نستعملها لتبرير الفشل!

*****

لا تسمح بالأخطاء أبدًا.. هذا هو شعار "علاء".. لا داعي لأن تسمع الأعذار فقط،حينما يخطئ أحدهم، عجل له بالعقاب.. يقولون دائمًا إن عينيّ تعكسان قسوة وكبرًا.. لا أراهم، ولكني ممتن لعينيّ، لذلك الانعكاس.. يجب أن تضع دائمًا لحياتك خطة معادلة.. ضع خطة "ألف" و"باء" وضع احتمالات، ولا تسمح لأي شيء بأن يفسد المعادلة..القلب

والمشاعر، لا مكان لهما في معادلتك ثم إنني لا أدرك أساسًا معنى الكلمة..حب الأم! هو مجرد امتنان لأبي وأمي، لأنهما أتيا بي للحياة، وبالتأكيد فقد سببت لهما من البهجة ما يسدد ذلك الدين!

ربما لم أكن بتلك المشاعر، قبــل أن...ولكــن لا داعــي لتذكرك الآن...تنظر إلى صورته وتنحيها جانبًا..وتفكر مــرة أخرى في العمل، مناقصة طوكيو تلك مهمة للغاية، طلبت من السكرتيرة إحضار الملف لأدرس العرض مرة أخرى .. منذ أن افتتحت شركتك الصغيرة وأنت في تقدم، يجب أن تــصبح في المقدمة دائمًا.. لا تسمح لأحد أن يسبقك.. هذا هو شعاري، طلبت من "حمدي" الساعي الخــاص بي أن يــستعجل "ريم" السكرتيرة ..وأنا أشبك أصابعي، وأطلب كوب القهوة، كنت أشعر أن الأداء اليوم أبطأ مما ينبغي، ربما يحتاج الأمر إلى بعض الحزم.

****

_آنسه "ريم"...حضرتك لقيتي الملف؟

_لسَّه يا عم" حمدي".. هتجنن مش لاقياه..كان هنا يــوم الخميس.. إنت عارف لما بابا تعب ومامــا كلمــتني نزلــت جري!!

بتوتر تكلم "حمدي":

_عارف يا بنتي عارف... بس دوَّري كويس الأستاذ "علاء" عايزة دلوقتي مش عايزينه يتنرفز علينا على الصبح كده.

التفتت إليه "ريم "بغضب:

_هو بيتعامل بالعصبية دي ليه أصلاَ.. إحنا موظفين وهو صاحب شركة مش عبيد عنده.

أشار لها "حمدي" العجوز لتصمت قائلاً بصوت منخفض:

_وطي صوتك يا بنتي..إنتي عايزاه يسمعك؟

أجابته بعطف وهي تربت كتفيه:

_إنت بتخاف منه للدرجة دي يا عم "حمدي" ؟!!

تنحنح "حمدي" العجوز وابتسم:

_مش خوف يا بنتي عشان أكل العيش ربنا يهديه.. إنتي جديدة في الشركة ..مشوفتيش الأستاذ "علاء" زمان ..من ساعة موضوع "آسر" الله يرحمه وهو رجع عصبي أكتر من الأول كمان.

_أنا مش فاهمة مين "آسر" ده بقى؟

أفزعها صوت الهاتف..وقطع حديثها فالتقطت السماعة الهاتف قائلة:

_أيوه يا أستاذ "علاء".. دقيقة وهبقى عند حضرتك..

أغلقت السماعة وتوجهت نحو باب المكتب وطرقته قبل أن تدخل منه..

*****

رفعت عيوني عن الأوراق عندما دخلت "ريم" عرفتها من رائحة عطرها.

_ملف طوكيو اترجم يا آنسة "ريم"؟

صمتت "ريم" لدقيقة كاملة فكرت فيها بما ستجيبه ثم وجدت أن الصدق منجٍ دائمًا..

_الحقيقة أنا لسّه بدور عليه و...

قاطعها "علاء" بلهجة أفزعتها:

_بتعملي إيه.. بتدوري عليه؟.. ليه حضرتك مش عارفة مكانه؟؟

اضطربت "ريم "وهي تجيب:

_لا.. عارفة طبعا.. بس لما جيت النهارده مكنش في مكانه.. أنا لسه بدور عليه.

وقف "علاء" كمارد يوشك من غضبه على ابتلاع المحيط قائلاً في غضب:

_إيه التهريج ده إنتي المسئولة هنا يا آنسة.. يعنى إيه ملف يختفي.. القطة كلته ؟!

ابتلعت توترها مع ريقها في صعوبة وهى تنطق:

_أستاذ "علاء".. أنا..

قاطعها في غضب:

_إنتي إيه ..أنا مش عايز أعذار.. دلوقتي حالا تدوري على الملف وإنتي متحولة على التحقيق.. بسبب الإهمال..

أجابته "ريم" بصوت متقطع :

_والله يا أستاذ علاء مش إهمال ده.

قاطعها للمرة الثالثة: لو كنتي بتهتمي بشغلك نص اهتمامك بشكلك مكنش الملف ضاع..

حاولت أن تنطق..إلا أنه أخرسها بآخر طلقة في مسدس كلماته:

_آنسة "ريم" اتفضلي المقابلة انتهت.

كان وجهها يموج باللون الأحمر بمزيج من الخجل والغضب قبل أن تنصرف من المكتب.. هتفت في أعماقهـــا دراكـــولا صحيح!

*****

بعدما خرجت "ريم" جلست في مقعدي قليلاً أنظـــر مـــن النافذة..أتناول حبوب القلق بكوب من الماء لكي أهدأ قليلا.. منذ فجر حياتي وأنا في صراع مع الجميع..مع جدي لكي أثبت له أنني أصبحت جديرًا بالثقة..ومع مشاعري التي تباغتني قليلاً وتصر على أن تخرج من حبسي الأبدي لها ..منـــذ زمـــن لم يدخل شيء جديد إلى حياتي ..أتذكر وأنا أنظر مـــن النافـــذة "آسر" الصغير وأذكر التغيير الذي أحدثه في قلـــبي ..ثم أذكـــر عودتي إلى حالتي تلك بعد موته..أنظر إلى صورته الـــتي تـــزين مكتبي وأتذكر.. أتذكر كل شيء ..

*****

_علاء ..صباح الخير يا باشا

_أهلا يا "اشرف" صباح الخير..

_هتعمل إيه النهارده؟

_مفيش شغل كالمعتاد..إنت عارف..

_طيب ما تيجي مغايا ..

_فين؟..وبعدين مفيش وقت أصلاً يـــا "أشـــرف" إنـــت عارف.

_نص ساعة بس يا علاء..العربية عطلانة ..ومش هأخرك ده وعد.

_ماشي..هعدي عليك..

في الطريق إلى مترله، فكرت في أن أتراجع وأعتذر ولكـــن مشكلة "أشرف" أنه كان دائمًا معك ألطـــف ممـــا ينبغـــي لا مشكلة في بعض الدقائق... لا تتجاوز النـــصف ســـاعة يـــا "أشرف" بأي حال من الأحوال.

_إزيك يا باشا..

_الحمد لله يا "أشرف"..على فين

_ هقولك وإنت ماشي بس متسألش شوية يا أخي ..

_ماشي..

*****

أنا "آسر" لا أعلم "آسر" ماذا ؟ ولا أعرف ما هو تحديـــدًا المكان الذي أنا فيه الآن ؟ إلا أنني أرى دائمًا وجه ذات الرداء الأبيض البشوش ذاهبة وآتية واختفت تلك التي كنت أراها من

قبل وأنا أحرك "دُبّي" الوحيد ذهابًا وإيابًا.. وهـــي تتحـــدث بجانبي بصوت أفتقده كثيرًا.. انطق كلمتين ولا أدرك غيرهما.

كنت ألمح التردد بداخل عيون البشر، عندما ينظـــرون إلى يدي، وهي تقوم بحركتي المكررة، ولا أعلم لماذا يخبطون، وهم يتحدثون إليّ ويتحدثون، وأنا لا أفقه حروفهم، فماذا عليَّ أن أفعل حينما يتحدثون؟ أنا لا أفهمهم، ولا أفهم لماذا أتوا بي إلى هنا؟ وأخذوني من غرفتي القديمة حينما أتـــوا بي؟ في البدايـــة، أخذت في الضرب على رأسي كثيرًا، لم يأبهوا بي، وبالتدريج، اعتدت غرفتي الجديدة، وضعوني مع باقي الأطفـــال، ولكـــني أخذت في الصراخ، لم يفهموا أني لا أحتمل سمـــاع الـــصوت العالي أساسًا.. وأتى أحدهم بنظرات طبية أخذ في التحديق إليّ طـــويلاً وأخـــذ في التحـــدث ثم نقلـــني إلى غـــرفتي المليئـــة بالنجوم..كنت أقرأ النظرات، فأفهمها، ولا أســـتطيع أن أرد، فقط أفهم ما يقال، عندما ينظرون كلهم، أفهمهـــم إلا "دبي" الكبير لا أفهم عينيه لا أعرف فيما تختلفان!

كنت ألعب بـــ"دبي" وأحركه وأضـــحك.. وأضـــحك.. وأضحك..بصوت مرتفع.

ثم أفتقد الجميلة، التي كانت تدندن بجواري، واعتـــدت أن أراها كثيرًا، فبكيت، وبكيت، وبكيت.. لا أعلم أخذت أردد اسمها

ماما، ماما.. تجحظ عيناي وأحرك أصابعي فلا تأتي.

_ إيه ده؟؟جمعية خيرية!!..إنت بتهرج صح؟

_لا خالص ..هتطلع معايا ولا هتستناني هنا؟

_هنطلع فين؟ ..إنت بتصدق الناس دي أصلاً..وإيه اللـــي يطلعك مكان زى ده؟!

بابتسامة يجيب..

_مكان زى إيه ..هي خمارة؟!

_لا بس دول معظمهم حرامية أصلاً..ولو مش حرامية إيه اللي يخليك تساعد حد

يقاطعك مرة أخرى بإشارة إلى السماء وهو يصعد ســـلالم الجمعية ..

أف..عليَّ أن أنتظر حتى يعود.. ربع ساعة مضت..وذلـــك العبقري بالداخل.. ربما الحركة أبطأ مما ينبغي، ربما يجب فقـــط أن أصعد لأرى ما يفعله، من باب الفضول ليس أكثر ..بمنتهى القوة تدخل عن طريق الباب تتصل به فيخبرك أنه في غــــرف الأطفال ..يا للغباء ..أصعد لأراه..المشكلة في ذلك المكان عدم النظام ...كل هذه غرف.. والأسوأ أنه لا يوجد أحد لأستفسر منه عن الطريق..ولكنني وجدت نفسي بالرغم مني أدخل لتلك الغرفة التي لا يوجد فيها إلا طفل وحيد..لا ينقصني إلا هذا..

طفل متخلف..ولكنني لاحظت أنـــه لم يتلفـــت لي منـــذ أن دخلت.. ألم يرني أم أنني الذي خارج نطاق رؤيتـــه، لا يهـــم ولكن حركته المتكررة استفزتني للغايـــة .. تتأملـــه بـــصمت ..لتجد يدًا تربت على كتفك..

_جميل "آسر"

_ هو اسمه "آسر"..تكلمه باهتمام حقيقي تستغربه

_أيوه.

_هو أعمى..ولا إيه أنا مش فاهم

_ لا "آسر" متوحد يا أستاذ..حضرتك اسمك إيه..

_علاء..متوحد يعني إيه .. وفين أهله طيب..صحيح ومين حضرتك؟

_أنا محمود ..إخصائي التخاطب في الجمعية..وآسر يتيم.. متوحد يعني إيه؟ همم ..شايف الدبدوب اللي هو ماسكه ده؟

_أيوه.. قديم أوى بس

يقاطعك...

_مقصدش شكله..هو مش شايف إن فيه فرق بينك وبينه غير إنك بالنسبة له حد مرعب هـــو فاقـــد التواصـــل ....أو

بأسلوب علمي بقى..التوحد ده إعاقة.. بتقلل من اســتيعاب المخ للمعلومات و بتأثر في كيفية معالجتها فبالتالي ..بيحــصل مشاكل في كيفية الاتصال بين المتوحد ومن حوله..إنت ممكن تبص له من بعيد زى ما بنعمل كده.. بس هو مش بيــسمح لأي حد يقرب منه ..ولو كلمته مش هيسمعك ولا هيهتم .. ببساطة هو بيعيش في العالم ده لوحده مــش بيهــتم بوجــود الآخرين من عدمه .. مش بيفرح لما بيــشوف أي حــد ولا بيحزن لابتعاد أي شخص ..لو حاولت تركز مع عيونه هتلاقي إنه مش بيبص لك وأنت بتكلمه ..ومــش بيحــب وجــود الآخرين من حوله ولا بيشاركهم اهتماماهم... وميحبش إنهم يشاركوه في أي شيء... بيحب يلعب لوحده .. ومش بيحب يختلط بالأطفال الآخرين..ده التوحد باختصار مخل ..

ـ يعنى لو قربت منة هيرفض ..

بابتسامة ودود يرد:

ـممكن تجرب..

أجلس أمام الطفل على البلاط ببذلتي التي أخشي عليها من كرسي مترب..أجلس وأحاول أن ألمسه ..إلا أنه يبتعد في ذعر ولا ينظر إليّ من الأساس!!!

أنظر للطبيب..لأجد "أشرف" بجواره ينظر إليّ بدهشة..فأشكر الطبيب وأسأل "أشرف" عن معلوماته عن ذلك المكان..

بعدما أوصلت "أشرف" جلست قليلاً في العربة أفكر..في كلمات الطبيب...متوحد..متوحد بغير إرادته أخذت أنظر إلى وجهي في المرآة وأنا أردد الكلمة أخذت أتذكر مواقف عديدة.. أبي المريض.. "ريم" السكرتيرة.. عم "حمدي" العجوز الذي أرهقته بالطلبات.. الكثير ممن حوله يعيشون في هذا العالم بمفردهم لكم أصابتك الجملة في مقتل أصابت كبد الحقيقة.. كم يشبهك!!..قشعريرة باردة تسرى في عمودك الفقري.. وإحساس غريب بالضياع يملأ كيانك..ولكنك نفضت الأمر برمته من رأسك وأنت تهزها بعنف..فليتولاهم من خلقهم من الأساس..تعود إلى العمل.

*****

أستطيع أن أحصى أوراق تلك الشجرة بنظرة متأمله، وأستطيع حساب كم يأخذ جناح الذبابة من وقت ليرتفع بها إلى السماء؟ ألمح أشياء قد لا تراها، ولكنى لا أستطيع أن أنطق جملة تفهمها وأنا خائف وللغاية لا أعرف أين يذهب الجميع ؟ومن أين يأتون؟.. ولكنى أحفظ الأوقات.. الطعام في السابعة.. والخروج للفناء في التاسعة، يوم الاثنين نأكل سمكًا

ويوم الأربعاء لحمًا، أتسلى بعد الفراشات في الحديقة، وأعد بقع الألوان على ظهرها ..أشعر بالوحدة وبالخوف.. لا أعرف، لماذا يدي ترتاح عندما أضع أصبعي الوسطى على السبابة؟ وأبدلهم طوال اليوم أفعل ذلك وأضع يدي على وجهي، لأهرب من شيء أخافه كثيرًا بحركة قد تبدو لك متذبذبة، ولكنها فقط تحدث بدون تحكم مني، حتى وأنا أرسم، أضع خطين وخطًا وحيدًا، والوحيد خائف وأنا أشعر بالخوف الشديد وبالبرد أذهب بعيدًا عن الجميع، أنزوي في الركن في أي مكان جانبي لا تضعني في المواجهة أبدًا فأنا لا أتحملها.

*****

عاد "علاء" إلى بيته متعبا ذلك اليوم..كانت مربحة تلك الصفقة الأخيرة مرهقة ومربحة..هاتفك كان يرن منذ الصباح بنغمة مكررة..نغمة المنزل القديم..تتحدث صوت أمك المنتحب ينبئك عن الأمر.

_أبوك مات يا "علاء"..

_البقاء لله يا ماما..إمتى؟

تجيبك بأنه دفن وبأنها كانت تتصل بك لكي تأتى لتأخذ عزاءه ..بلهجة اعتادت على النبرة الميكانيكية تحدثها بأنك ستكون معها في الصباح..غدًا يوم ضائع ..أف تعود إلى العمل.

*****

كانت غريبة نظرات ذلك الشخص الذي أخذ ينظـر إليّ كثيرًا، أستطيع أن أرى بجانب فمه تجعيـده، تـشي بـالحزن والوحدة لا بكبر السن، ولكنه ذهب، بدون أن يظل معـك لم تدرك أنت أساسًا ما حدث، كل ما شعرت به أنه في لحظـة صار قريبًا منك.. أيمكنك أن تناديه؟ كيف لا تستطيع الكلام ؟ ولا تعرف كيف تنطق؟ ولو عرفت فلن يسمعك ..حينها مـن أعماق روحك ناديت بصمت.

*****

مضى أسبوع منذ أن رحل أبوك، أنت مستغرق في عملك تمامًا، تلك الفترة حققتم الكثير من الأرقام القياسية..ولكنـك الآن أصبحت تـستفهم الـصدمة تمامًـا، معـنى أن يرحـل أحدهم..نظرة أمك الحزينة أنبأتك..لأول مـرة في حياتـك شعرت بأن حياتك خاوية..كل ما بها هـو عمـل..عمـل ومعارك..عن أي حياة تتحدث بل قل قانون غابتـك الـذي يحكمك ..كنت تحتاج إلى صديق.."أشرف" لم يأت في بالك غـيره ..موبايلـه مغلـق بالتأكيـد سـيكون في تلـك الجمعية..توجهت إليها..تصعد السلالم وبرغم أنه أنبأك بمكان جلوسه المرة الفائتة إلا أنك ذهبت إلى غرفته في غرفة "آسر".. لم يلتفت إليك ..من الأساس كان يرسم حاولت إن تـساعده فلم يلتفت ولكنه لم يصرخ أيضًا ..تحدثت معه عن أبيك وهو لم يلتفت فقط حينما توقفت عن الحديث .. التفـت ينظـر

بالقرب منك بنفس النظرة الخاوية وبرغم كل المراجع التي تصر على أن نظرته خاوية، ولا يمكن أن تعبر عن أي شيء إلا أنك برغمهم جميعًا، رأيت خوفًا، وشعورًا بالوحدة أشعرك بالصقيع.

*****

لا تعلم، لماذا شعرت به قبل أن يأتي حينما دخل لم تعرف ماذا يفترض أن تفعل؟ ولكنك صمت، وهو يقترب، لم تصرخ كعادتك، لم تخبط بيديك على مؤخرة رأسك وتصرخ فقط، صمت وهو يأتي، ويساعدك في الرسم وفي الضحك، لم يحدث من قبل أنك تحركت أو حاولت أن تتحرك نحو أي شخص أو أسعفتك التعبيرات، جلست فقط كما اعتدت وهو ينظر إليك وأنت تنظر إلى العدم وتراه بدون أن تعلم كيف تخبره بأنك تراه .

*****

_دكتور" محمود"...

_أيوه يا "سمية".

_شايف يا دكتور .. شايف "آسر" .

_تبتسم آه شايفة ماله.

_هو كده خف، مش حضرتك قلت إنه مش بيشوف حد.. ولا بيسمعنا، أمال ليه حاسة إنه يعرف أستاذ "علاء" ده

أنا كل يوم كنت بخده جلسات التخاطب والعلاج وعمره ما شافني أصلاً أو بص لي.

ـ أنا قلت فيه حالات من التوحد كده.. التوحد درجات يا سمية.. فاكرة أول مرة جه "آسر" بعد ما أمه توفت وجابه جارهم، كلكم استغربتم لأنه مش بيكرر غير كلمتين بس منهم ماما ومش بيعرف ينطق.. ولأن صوته كان صراخ دايمًا.. وهزهزته وحركته الغريبة ..التوحد فيه حالات استجابتها عالية وفيه حالات تانية صعب التعامل معها.

ـ وإنت مش ممكن تعرف يا دكتور مش حضرتك عملت له اختبارات وعلمتنا إزاي نبدأ في التدريب معاه!!.

ـ الاختبارات بتنور لينا شمعة بس فيه سرداب مظلم للغاية، لم تحدثها عن الأطفال المتوحدين الاسبرقز... الذين يملكون قدرات خارقة... مثل حفظ دليل الهاتف بأرقامه جميعًا أو حفظ الأحرف جميعًا.. لم تحدثها عن طفل متوحد تمكن أبوه أن يجعله يحفظ القرآن وآياته فيكفي أن تذكر له اسم الآية ليخرج لك في لحظات الصفحة من المصحف.. عبر عنهم للغاية فيلم "رجل المطر"..الأمريكي.. يمكن أن يصبح أناس مثل "آسر" نابغين برغم توحدهم ويمكن بقليل من الاهتمام أن يصبحوا مخترعين أو علماء.

وأنت تخطو خارج الغرفة سألتك مرة أخرى:

_ دكتور طيب هو كده خف..صح.

تبتسم وتشير بيديك إلى السماء.. هو فقط من يعلم بماذا يشعر الآن

*****

منذ أن عرفت "آسر" وحياتك تغيرت للنقيض، أصبح موعد "آسر" مقدسًا تذهب إليه كل يوم تجلس بين يديه..اقترابك من روحه جعلك آخر غير ذلك العنيد..جعلك ترى الضعف في البشر وتحترمه .. عالجك "آسر" من حالة توحدك وأنت لم تستطع حتى أن تزرع ابتسامة على شفتيه.. أصبحت من المهتمين بالعمل الخيري.. تشاركهم كثيرًا في توزيع الطعام في مناطق لم تكن تعرف أنها موجودة أساسًا.. قرأت أكثر عن مرضه... تابعت حالته..درست التخاطب في أكثر من مكان وتعلمت الكثير من التمارين التي حاولت تطبيقها معه.. جعلك هذا أكثر تواصلاً مع البشر..جعلك "آسر" ترى قدرة الله فيك وترى نعمة الله عليك وحكمته ورحمته التي أحاطت بك منذ مولدك وعلمك أن تشكر الله، في عملك تغيرت شخصيتك أصبحت أكثر لطفًا في المعاملة تحاول دائمًا أن تكون عادلاً لم تتخل عن تفوقك ولكنك أصبحت

تساعد الجميع والابتسامة أصبحت لا تفارق وجهك، كل شيء أصبح منظمًا وفى موعده.. الصلاة في مواقيتها، تمارين "آسر" في مواعيدها المرور على أمك اليومي، وجهك تغير أنار، وأصبحت بشوش الوجه وحلو الحديث حتى..

حتى حدث ما حدث!!

*****

أذكر صعودي ذلك اليوم إلى غرفته الخاوية، كانت نظرة الجميع تنبئني بأن في الأمر حدثًا ولكنى لم أفهم ..أذكر دخولي إلى غرفة "محمود" لأبحث عن "آسر" ..أذكر نظرته المطرقة.. وكلمة البقاء لله.. لم أصدق ..طوال الطريق إلى المترل لم أفهم.. لم أبك ولكن الجبل بداخلي تصدع فجأة.. لم أجد مكان سوى هنا في مكتبي ..والآن بين صورته ونافذتي ..أتذكر تركي لكل شيء ..للجمعية التي لم أستطع أن أعبر درجاها مرة أخرى.. تركي للبلد كلها لشهرين لأعود أسوأ مما كنت في البداية..تغيير أرقام هواتفي جميعًا..لا أعلم لم أشعر الآن بندائه بداخلي ..حقيقة لا أعلم..ولا أعلم أيضًا لماذا وضعت الشريحة القديمة في الهاتف وأوقفت استقبال المكالمات الآن، رنين الهاتف هو ما أفاقني قليلاً..

ـ الو..

_ إزيك يا "علاء" ..

_ أهلا إزيك يا دكتور "محمود"

_ الحمد لله..كنت عايز رأي حضرتك في حاجة

_ أكيد..

_ فيه كذا حالة توحد في المركز جم جداد ..وأنا بحاول أكون فريق من المهتمين

قاطعته بحدة..

_ لا أظن يا دكتور وقتي محدود زى ما حضرتك عارف

_ أكيد ..بس أنا مش بكلمك عشان تبقى واحد من أعضاء الفريق

_ أمال..تمويل مادي..أنا مستعد

يقاطعك بدوره تلك المرة

_ لا أنا بكلمك عشان عايزك إنت اللي تقود الفريق ده..خبرتك في مجال التوحد كانت بتبهرني أنا شخصيًا..إنت كنت متعمق أوى في دراسة الحالة ..وحرام يبقى عندك العلم ده ومتفيدش الناس بيه.

_ أيوه بس

يقاطعك مرة أخرى:

ـ بص يا "علاء".."آسر" في الجنة مش لعلم ..بس لأنه ما ارتكبش ذنوب..دخل الدنيا وخرج زى الملاك..وأكيد دلوقتي هو في مكان أحسن وشايفك منه ..مش عايز منك رد..فكـــر وبس.

ـ موعدكش بحاجة..بس هفكر ..سلام.

ـ في أمان الله.

وأنت تغلق معه ..طلبت من "حمدي" أن يبلغ الـــسكرتارية بعدم الإزعـــاج لأي ســـبب.. ونظـــرت مـــن مكتبـــك إلى البعيد..لتجد صورة "آسر" القديمة تحتل تفكيرك.. وشـــعرت ببلل يغزو خديك لتكتشف أن الدموع تنبت من قلبك لتبقـــى بطرحها على عيونك على ذلك الملاك أخذت في البكاء، منـــذ سنوات وخدك الجاف لم تباركه موجات المشاعر والخـــوف.. تتذكر مواقف معه ..يوم حاولت أن تربت كتفيـــه وابتعـــاده المنكر للمستك.. ذعره..ضحكته التي أتت بعد الكـــثير مـــن التدريب .. تتدفق في روحك بالرغم منك موجات العطـــف والحنين فتكسرك ..تتذكر نظرة عينيه الخـــاويتين .. أصـــوات الأنين والحزن التي كانت تنبعث منه كطـــير وقـــع في شـــباك الصيادين بغير ذنب..تلقى على صورتك معه نظرة أخـــرى ..

دموعك الآن تنساب بلا أي مقاومة تروى عطـــش القلـــب، تنهمر الدموع الآن منك وتنهمر تتخبطك ذكريات ولحظـــات كثيرة ..كل ما كنت تتمناه هو ضمة أخيرة لبدنـــه الـــصغير.. ليغفو بين ذراعيك وتغفو معه...تنظر مرة أخرى إلى الطريق.. وتتذكر كلمات الطبيب: فريق توحد ..تدمدم..من يعلم ..

صورة خلف مكتبك لكلمة "الله" بالذهب علـــى خلفيـــة سوداء أجابت بدون أن تشعر..بأن الله وحده من يعلم

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

[يونس : ٣٥]

طبعا أنا ملحد..

يا اللي بتبحث عن إله تعبده
بحث الغريق عن أي شيء ينجده
الله جميل وعليم ورحمن رحيم
احمل صفاته.. وإنت راح توجده
(عمنا صلاح جاهين)

أشعل "خالد" سيجارته وفتح جهاز اللاب توب الخـــاص به.. اليوم سوف يفعلها.. تردد قليلاً شعر بقـــشعريرة بــاردة تزحف على عموده الفقري فارتجف، للحظة قرر أن يتراجع ثم تذكر إرادته التي جعلته يقوم بكل ذالك منذ البدايـــة ســـحب نفسًا آخر وسجل دخولاً إلى إيميله ووضع العبارة التي ســـوف تظهر حقيقة انتمائه الفكري التي أقلقت نومه لأيام، تردد مرتين قبل أن يكتب العبارة ثم حسم التردد وضغط

Enter

ليدخل العبارة ويدخل هو إلى عالمه الذي صنعه بإراداته...

"الله لا وجود له.. الله أوجـــده الـــضعفاء لكـــي يـــبرروا ضعفهم.. والجبابرة لكي يجدوا من يتجبرون باسمه"

***

أنا "خالد محمد فرج الله" والدي هو الشيخ "فرج الله".. من رموز الحركة الإسلامية في مصر ليس كذلك فحسب بل إن جدي الذي يتكلم أبي عليه بما يشبه الرهبة حتى بعد أن رحل جنوبًا _كما كان يصف قدماء المصريين رحيل موتاهم - ما زال يتحدث عليه ويؤمن على من يتحدث عن كراماته بعبارة - إحنا هنروح فين فيه - كما ترى أنا نموذج لشاب مسلم محظوظ لو سار الأمر كما رتبه لي أبي، لكنت أحد الدعاة الذين تملأ صورهم القنوات الفضائية ولكنه لم يحدث لحسن حظي، تمر بي لحظات تؤرقني فيها بحار الذكريات وتصر على الثورة على حبيسي لها فأغمض عيني لحظتها وأحررها قليلاً فتجرفني موجتها فأغوص ببحر الذكريات فأتذكر وأتذكر، أتذكر أيامًا سوداء قضيتها في دراستي الأزهرية التي سمحت لي بأن أرى الفكر الإسلامي على أصوله، أتذكر رفض أبي أن التحق بكلية الفنون الجميلة التي فضل عليها كلية الشريعة والقانون لكي أظل تحت رعايته أتذكر كيف أحرق أوراقي واتهمني بأن الشيطان يبارك طريقي.. حسنًا إذن فليبارك ذلك الشيطان إن وجد حياتي الآن، والدي هو صورة قاتمة للإسلام البغيض الذي أجد صورته دائمًا في خيالي كلما تحدثت مع أي مسلم ملتزم.. أبي هو المثال الواضح لأي مسلم كما يجب أن يكون فهو ملتزم طويل اللحية قصير الجلباب.. كلامه دائمًا

وأبدًا بأحاديث الرسول الذي يصر دائما على ذكر كلمة عليه أفضل الصلاة والسلام وهو يدمـــدم بخـــشوع... أرأيـــت في حياتك مثالاً أوضح من ذلك على المـــسلم الملتـــزم بتعـــاليم كتابه... هههههههههههههههههههههههههه إنها حقــا عائلـــة محترمة أب شيخ وأم منقبة وجد أقل ما يقال عنة أنه كان يملك بركات.. عن أي خرافات يتحدث ذلك العجوز المأفون.. أنا أكرهك يا أبتي أكرهك وأكره اسمك الملتـــصق بي كالتـــصاق البعوضة بالجلد الرطب في يوم حار... أكره ذلـــك الـــشرف المزيف الذي يمنحني اسمك إياه..ملعون أنت وملعـــون ذلـــك الاسم وملعون اليوم الذي ألقيت فيه بنطفتك القذرة لأتكـــون وأنا جنين لأب مثلك .

***

اليوم هو اليوم الثالث في تاريخ ميلادي وتـــاريخ تحـــرري أيضا.. لأول مرة أشعر أنني حر بيدي تلك كسرت ذلك القيد الذي كان يقيدني إلى معتقدات لم أكن أؤمن بها يومًا.. لمـــاذا انتظرت طوال هذه السنين، الحياة لا تأتى إلا مرة واحدة إنـــني الآن خارج عن كل الأديان متخلٍ عن كل المعتقدات الباليه.. إله هذا العالم هو العلم وهذا ما أنتمي إليه المنطق العلمي الذي يشكك في أي شيء وكل شيء.. أي فرضية تحكم الوجـــود الآن يمكن أن تصبح غدًا خرافة ببعض البحث وبعض المنطـــق

فما بالك بكلمات لم تتغير منذ أربعة عشر قرن، وما يهمني أنا في خلاف حول زوجات الرسول إذا كنت لا أومن برسالته أساسًا... سر تخلفنا طوال هذه الفترة هو تمسكنا البالي بمعتقدات لا يمكن لها إلا أن تحكم قبائل تعمل برعي الأغنام وتحارب فيما بينها طوال اليوم على سبيل التسلية..لأننا تمسكنا بتعاليم الأزهر العتيقة واستمعنا لسلاطين تحكم بشرع الله انظر ماذا أصبحنا، لأنهم في الغرب تخلوا عن هذا الفكر المتخلف منذ زمن فانظر أين أصبحوا.. لا تتحدث مثل أولئك المغفلين بأن الفرق بين الإسلام والمسلمين كالفرق بين الذهب والنحاس، وبأن روح الدين تحمل الكثير والكثير .. أليس هؤلاء الشيوخ الذين يباركون حكم طاغية ويدعون له من على منابر المساجد هم أعلم الناس بالدين وأكثرهم حفظًا للنصوص، أليست أفعالهم الخسيسة خير دليل عليهم وعن روح الدين المزعومة!!

أليست كلماتهم التي تردد ليل نهار عن الإسلام وعدالته هي التي تتكلم مرة أخرى وتذكرنا بوجوب الانصياع لحكام ورجال يغتصبون يوميًا آدميتنا.. أليسوا هؤلاء الذين يتحدثون عن الإسلام وعدله هم الذين يربتون على بطونهم الكبيرة في بلد لا يمتلك فيها الكثير ما يسمح لهم بأن يقفوا على أقدامهم حتى.. من فينا الأقرب لروح الدين إن لم يكن هؤلاء؟؟

أنا الآن أسعد حالاً وأكثر اطمئنانا من حالتي حينما كنت أغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني لم أومن به قط... يقولون

إن أبي حينما سمع الخبر أعلن أن ابنه قد دفن منذ زمن بعيد، الجميع الآن يعاملني كالمجنون، بل يتعاملون معي أحيانًا كمجذوب يحمل رائحة غير محببة للأنفس.. لا يهم أنا أحدثك أنت فقط أيتها الأوراق فأنت من سيشهد لذلك العصر أنني كنت على حق.. ثم ولما أهتم بهم ألم يكذب أجداد هؤلاء كل الأنبياء الذين يتبعون رسالتهم الآن إن وجد هؤلاء الرسل من الأساس.. ألم يكذبوا حملة الوحي.. ألم يسروا "جبريل" ولم يعرفوه وكل تلك الخرافات الأخرى.. بمن أهتم أنا.. كل ما يضحكني هو "محمد" غريب هذا الفتى بحق.. يصر على أنني سآخذ وقتي.. هههه.. ساذج يظن أني أحد من الخراف التي ضلت الطريق إلى مراعي الرب الممتلئة بالنعم.. اليوم سوف يجيء لنتحدث قليلاً.. من أجل الصداقة سأجعل الحديث يبتعد كل البعد عن الدين.. لن أحدثه في معتقداتي ولن أحثه أن يؤمن بها هو لن يؤمن بها وأنا لن أهتم إن آمن بفكري أو رفض.. علقت حكمة كبيرة على باب مكتبي تقول "من كانت له عيون للبصر فليبصر.. ومن كانت له آذان للسمع فليسمع" تسألني يا صديقي المتلهف على إثبات قوة دينك بمنتهى الحماس لماذا أنا ملحد.. قل لي أنت ولما لا أكون ملحدًا.. لماذا أنكر وجود الله؟ دائما ما يسألوني هذا السؤال دائما يا صديقي العزيز وأنا بدوري أسألهم لماذا انتم تؤمنون به؟ أي إله يرضى

بأن يتقاتل أبنائه ..ومن يرضى بأن ألقي جزائي في الآخرة أنت تريد ان أحرم نفسي من كأس النبيذ الذي يثير نشوتي وجنوني.. وأن أترك أعمالي خمس مرات في اليوم من أجل أن أسجد لآلة لم أره وماذا أعطاني.. ماذا.. عينان وشفتان و..و.. ومن قال لكَ بأنه موجودا ها أثبت لي...لا تحدثني بالكتب السماوية فانا لا أؤمن بها بل حدثني بالمنطق أنا لا أجد أي دليل مادي يؤكد وجود الله، فهل لديك أنت أي دليل على وجوده؟ وأي إله فيهم هو الحق ..ها؟ لا تنظر إلى كمجنون أجبني فضلا وبمنطق أي اله من المفترض أن أعبده أهو أله المسيحية المثلث أم أله اليهودية الذي فضل اليهود على باقي البشر أم إله الإسلام الذي انتشر بالسيف والذي رأيت كيف يطبقه أبي، يطبقه بضرب أمي لأنه من حقه.. يطبقه بالزواج من اثنين أخريات لأن الله أباح له ذلك.. الله أباح له أن يضربني وأنا الطفل الصغير لكي ألحق بصلاة الفجر التي لا أرى من ورائها أي طائل سوى إضاعة نومي من فضلك حدثني بمنطقية....

***

يعتقد "محمد" دائما في الله ..يعتقد في القوة المطلقة لوجوده.. ربما كانت مشكلته مع من حوله هو التطبيق السيئ للإسلام.. أكثر ما يثير حفيظته هو منظر شيخ سني بذقن طويلة ووجه متجهم وزبيبة صلاه كبيرة..وهو في الأصل سارق.. أو

منقبة تطل عيونها لتغريك على معصية الله بالنظر وإطالتـــه إلى جمال رسم عينها وتقاسيم جسدها التي أحكمت العباءة مـــن حوله..حينما رفض الجميع حتى و أن يتحدثوا مع "خالد" بعد ما فعله..تقدم هو..ربما لأنه يعرف أن الأمر لا علاقة له بالدين من الأساس ربما لأن بحكم العشرة كان قـــد ألفـــه...يـــذكر "محمد" حديثة مع صديقة قبل ذهابه إليه:

ـ صدقني إن ما يرفض ليس الله ولا وجودة ولا الإســـلام ومشكلته ليست معهم على الإطلاق.

ـأنت بتضييع وقتك اللي زى "خالد" ده يضرب بالجزمـــة زى أي برص تجيبه من على الحيطة بالشبشب... عـــارف ده حكمة أيه القتل يا "محمد" القتل!.

ـالفقهاء اختلفوا في الموضوع ده.. وبعدين حتى يا سيدي المتشددين للقتل حكموا بضرورة الاستتابة..

ـأنت ليه مش فاهم الحكم حكم.. سمعنا واطعنا.. يقتـــل يعني يقتل..

ـهمممممممممممم.... سمعنا وأطعنا مش يتبقى في

تطبيق الأحكام يتبقى في العبـــادات في إن صـــلاه الفجـــر ركعتين مثلا مش في الحدود.. هديلك مثال عارف أنت "عمر

ابن الخطاب" أوقف حد السرقة في عام الرمادة عشان النـــاس كانت بتسرق عشان تأكل .

_ لا طبعا مستحيل يكون "عمر ابن الخطاب" عمل كـــده ولو ده صح يبقى "عمر ابن الخطاب" فاهم ده "عمر"كلامـــه مقدس يعني .

_ لا ده حصل.. ومفيش قدسية في الإسلام كل يأخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا المقام(الرســـول صـــلى الله عليـــة وسلم).. في مشكلة في فهم تطبيق الحدود عندك.. طيب أنت عارف أشد حكم في الإسلام من وجه نظري أيه؟..

_أية يا فالح، السرقة؟..

_لا الزنا... لان تطبيقه يا إما الموت لو أنت متزوج، يا إما أنك تجلد مائة جلدة بدون رحمه أمام الناس. عارف حكم الزنا أتطبق كام مرة في الإسلام في وجود الرسول؟.

_كتير طبعا.

_مرة واحدة يا "حازم" مرة واحدة بس.

***

أختلف كثيرا مع شيوخي.. وأساتذتي الذين أجلهم.. مـــا بين روح الدين والتمسك بأشياء لا أفهمها.. ما هو جدوى أن

يتحدثوا عن بركات بول الرسول صلى الله علية وســـلم.. إن كان رسول الله غير موجود بيننا.. ما هي فائدة أن يصعد عالم كبير ليتحدث عن بركات بول الرسول وآخر يتحـــدث عـــن رضاع الكبير بينما نتحدث نحن حول البشر الذين صعدوا إلى القمر..ما هي فائدة أن تظل تذكر للناس قـــيم وقـــوة الـــدين الإسلامي .. وأنت لا تطبقها.. أفلا نعقل؟.. أتسائل دائما عن سر تأخر الدعوة والدعاة في مصر بلد الأزهر الشريف..أفكـــر قليلا ربما لأن علماء الدين خانوا العهود مع الله.. كيف تصدق شيخا.. يحدثك فتدمع عينيك، ثم تراه راكبا عربته بعد ذلـــك وصوته الذي كان رحيما انقلب فأصبح صوت غول.. كيـــف ينهاك أحدهم عن السرقة ثم تجد ذمته المالية محل جدال.. لمـــاذا نتحدث دائما عن حرية المرأة وفى داخلنا يكمن ذلك الـــشرقي العتيد الذي يؤمن بأنها عبده ..حتى وإن حررهـــا الإســـلام" وحررتها الثورات.. لماذا ولماذا.. ألف تساؤل يجيْ على بـــالى فينقلب عقلي إلى ملعبا للصراع لا أرتاح إلا حينمـــا اخفـــض جبيني لله هيبة ووقار.. حينما اصدح خلف الإمام.. الله اكبر.. فأحس بتضاءولي.. فاسجد فتدمع عيني. فاعلم بأن الحق لا يأتي إلا من عندك وسعت رحمتك كل شيء.. أقرأ آيات من كتابه فأؤمن أنه من عندك..سبحانك جل علاك.. أذكر أيام حـــيرة كثيرة سبقت يقيني.. أذكر أحاديثي مـــع الـــشيخ "علـــى" في

المسجد.. أسأله فيرد.. سؤال وجواب.. لما قال الله كذا وكذا.. لأن كذا وكذا وكذا.. بعيدا عن شيوخ الفضائيات وبعيدا عن الصراع الدائر حول اى الأديان أفضل عرفت الله عرفته بحق.. فهمت أحاكمه ونظمه.. عرفت الله من ورقة التوت.. كما عرفة الإمام "الشافعي".. ورق التوت طعمه واحد، فإذا أكله الدود أخرج الحرير، وإذا أكله النحل أخرج العسل، وإذا أكله الظبي خرج المسك ذي الرائحة الطيبة. فمن الذي وحد الأصل وعدد المخارج ؟؟ سبحانه وتعالي خالق الكون.. افهمني الشيخ "علي" الكثير.. اعترف بذلك بين أسئلتي وأجوبته تعلمت وفهمت سر حيرة الكثيرين الحق إننا ظلمنا ذلك الدين سواء بجهل منا أو بقصد تآمرنا عليه وأكثر من تآمر، هم أولئك المدافعون عنة على طول الخط.. حينما اقتربت من "خالد" وجماعته لم أر في عيونهم غير الحيرة.. هم فقط ضلوا الطريق.. اذكر حينما جلسنا لأول مرة وهو يقدمني إلى زملائه ..بمنتهى السخرية بالرغم منة نطقها..

_الشيخ "محمد عبد الفتاح المستحاب" نجل الشيخ الأشهر.. خدوا بالكوا ده إسلامي متعصب..ودماغه جزمة!!

ألمح نظرات الإستهانة بي.. لم أرتجف..يتحدثون إلي وكأني قادم من المريخ.. لا يهم .. حينما تحدثوا عن شعر "صلاح جاهين" و"فؤاد حداد".. ولعبوا لعبة غريبة بأن يقول كل منهم

رباعية.. رفعت يدي في دوري.. دهش أكبرهم وسمح لي بأن أشارك..

الكون ده كيف موجود من غير حدود

و فيه عقارب ليه و تعابين ودود

عالم مجرب فات و قال سلامات

ده ياما فيه سؤالات من غير ردود

عجبي !!!

لم يتطرق الحديث في الدين.. كان الكلام سياسة.. بعض التعليقات على ماتش الأهلي الأخير.. لم يتحدث أحدهم في أي شيء يخص الدين.. وأنا لم أدخل يدي في عش الدبابير.. ولن أجادل سكارى أغلب ما يعلمه أعلمهم عن الإسلام هو اسم نبيه محمد علية أفضل الصلاة والسلام.. لمحتهم وهم يقدمون لي الخمر.. اصمت وابتسم..

ـ مبشربش.. بس أنا مش شيخ يا "خالد".. وأنت عارف ده.. ويارتني كنت.. الشيوخ مرتبة عالية أوى وأنا لسه اقل منها..

يرد "خالد" عليهم باقتضاب :

_ ماشي..أنا كمان مش بشرب هايشرب معايـا كـولا

طوال جلستي معهم لم استثر من تعليقاتهم طالما هي بعيدة عـن سب الدين أو الرسول فلا بأس من أن أجالـسهم واسـتمع. الذكي هو من يحدد مكان المنازلة إذا أراد القتـال.. وهـؤلاء سكارى ومن يجادل السكران كمن يغترف من ماء البحر فـلا هو يروى عطشه ولا طعم الملح سوف يسعده.

***

بعد الجلسة يصطحبني للخارج ..

أسأله:

_مالك

_مفيش

_طيب

_ محمد.. لو جاي تنصحني وفر على نفسك الكـلام ده.. بص أنا قرفت وتعبت أوي لحد ما لقيت طريقي.. ومعتقـدش إن أنت أو أي حد هايقدر يرجعني.. فاهم.. أي حد.. بـص فلسفة وكتر كلام مش بفهمه مش عايز.. عايزنى أؤمن ماشي وربي ربنا "الله" خليني أبصله.. أساله ليه بيخلينا ناكل فى بعض كده ليه سايب فى جيوش قويه زي أمريكا بتقتل في أطفال ليه مديهم القوة دي؟؟

ابتسم في وجهه وقبل أن انطق.. يقاطعني قبلا:

ــ وليه خلقني أصلا و ممشيني في طريق هو إللــي عـــارف نهايته.. إيـــه العائـــد.. إيـــه الفايـــده يعـــني ؟! بـــص يـــا "محمد"هابسطلك الموضوع.. لو أنت كنت مقتنع بوجود ربنا يبقى أكيد هو موجود وإن كنت غير مقتنع بوجوده إذن فهـــو غير موجود لأنه لو كان موجود لأقنعك بوجوده.. وبعـــدين ماشي يا سيدي موجود.. معاك أنا اهو في ربنا... ليه دينـــك هو الأفضل.. ودينك يا عزيزي ملئ بالخرافات !!

انظر إلية بهدوء:.

ــ زى ايه؟.

ــ الإسراء والمعراج مثلا .. ليه فضل طالع نازل كده عشان يخفف الصلوات.. مش من الأول كان ربكم خففها؟

ــ إيه كمان؟

ــ والمرأة.. صحيح كلمني عن المرأة مش المرأة دي أمـــرت بأن تسجد للرجل لو أنها لغير الله ساجده.. ليه إحكام الوراثـــة كده؟.. ليه للذكر فينا كحظ اثنتين فين المنطق.. ليه من حقـــه يضربها ..عارف أنا لسه فاكر أبويا وهو يعنف أمي ويـــضربها ويؤدبها.. ده دينك مش كده.. وليه لزاما على المرأة إن تغطى

هي شعرها ومش الرجل مش بعض الرجال فتنة للنساء..ليه هما كمان متأمروش أنهم يلبسوا النقاب.. و..

قاطعته:

_أجاوبك

يقاطعني مرة أخرى:

_لا سيبنى أكمل.. مش عايز منك كلمات منمقة بتقول إن ربنا رحيم وغفور والحكمة في كذا وكذا ..والإسلام أفــضل لأنه هايدخلنا الجنة.. أنا أصلا مش مقتنع أن في جنة

_ حاضر..خلص كلام وهاجوبك إن شاء الله

_نعم؟.. أنت هترد؟.. مش فاهم.. توقعت إن أنت بالذات يا هاتسيبنى وتمشى يا هاتتنرفز من كلامي

_لا.. لا خالص ده بيضحكني جدا.

_إزاي يعنى؟..

_في آية في القران تنهى عن الاقتراب من الصلاة والواحــد سكران.. فاكرها أكيد

_ أيوه..

_أنت بتعمل زي إللى بياخد نص الآية ويقول القران نهـــى عن الصلاة.. بتقصقص الكلام وبس علشان كـــده كلامـــك بيتقلب عليك.. عارف كل الى قولته وهتقوله ما يحسبش على الإسلام اساسا.. وأنا مش محتاج أقنعك بوجود ربنا فكر أنت شوية.. كل التنظيم الكوني ده جاى منين.. من الطبيعة مثلا.. وأنت طبعا نتاج التطور الطبيعي من القرد أو حتى من الإنسان القديم ماشي. .يبقى المفروض إنك في السنوات القادمـــة يـــا هاتبقى سوبر شامبانزى.. يا أما هاتتحول لبنى آدم بيطير مـــثلا وبينور بليل.. ولو فكرت هتلاقي ربنا موجود حولك بآياتـــه وبآثـــارة... هـــديك مثـــال قـــديم اوي..أنـــت بتـــشوف الكهرباء..؟؟.لا طبعا .. بس بتنور اللمبة اللي فوق دي.. مش ممكن تلمس زلزال لكن اثاره هتبان لعيونك فتعرف أن مـــش كل شيء ممكن تلمسه.. الرياح .. الرعد الجاذبية نفسها كـــل ده مش ممكن تلمسه ومش كل الأشياء الى مش بنشوفها مش موجودة.. "خالد" أعقلها بعقلك أنت.. وأنا شوية وهارجع لو هتفضل هنا..

_ إيه دة انت هاتمشى

_آه طبعا.. أذان الفجر أنت مش سامعه؟..

_مش هاترد عليا..

ـ هارد لو حبيت او استنيت.. فكر شوية على ما أصلى... صحيح وأنت بتفكر في كلمة عن سيدنا على ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم بيقول فيها .."من استعان بغيره مل ومــن استعان بماله قل ومن استعان بعقلة ضل ومن استعان بالله فــلا مل ولا قل ولا ضل"

ـ يعنى ..

ـ ميعنيش.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

***

فكرت قليلا بعدما رحل..ماذا يأخذ ضدي ..أنا لا أؤمــن بوجود الله حقا.. إن وجد فأين هو من الظلم الواقع علينــا.. أين هو من ما حدث مع أمي هل رأى أبي وهو يحرق لــساني لأني أخرت الصلاة.. أأمره بذلك.. جمرة في اللسان علمتني أن أكره وعلمت العقل إن يشتعل.. ولما يتحدث محمد بكل تلك الطمأنينه من أين تأتيه.. ملعونة تلك الزيارة.. ولكن الكــون ذلك النظام الدقيق.. تلك الأشياء التي تحدث لا يمكــن إلا أن تبرهن على وجود الله لا أن تنفيه حسنا أنا لست ملحدا أنا لا ديني مثل رمزي.. أبي قال لي بأنة يجب أن نؤمن بما كتــب في القران كله بكل الرسل وبكل الملائكة ليس برسولهم فحسب.. وكيف يمكنني أن أؤمن بان رجلا أحيــا المــوتى.. وأشــفى

الأبرص.. ورجلا آخر تحدث جذع الشجرة من تحته.. وآخـــر رمى عصاه فإذا بها حية تسعى.ثم هب أنني أصبحت مـــسيحيا كيف لي أن أؤمن بالمسيحية بتناقضاتها الكثيرة آو الإسلام الذي لا منطق في كلماته... الله هو العدل في الإســـلام والمحبــــة في المسيحية فكيف يرضى العادل بكل هذا الظلم.. ولكنني أجـــد كلام محمد قريبا إلى قلبي... المنطق هو الأســـاس "العقـــل".. ولكن لما تلح على جملته الآن.. من استعان بعقله ضل ..وأنا لا أرى أي بصيص للضوء لا لن أرضخ لخرافات القرون الأولى.. وخرافة الرسالات بأكملها.. هم كبشر عباقرة لأنهم استطاعوا وأن يجمعوا كل تلك الحشود... ثم أنه لا شـــيء حتمـــي ولا شيء مصدق بنسبة مئة بالمائة أنا أفكر وانشر المحبة على الأرض أأصير رسولا من أجل هذا..!! أنا سأساعد شخـــصا مريـــضا ومعاقا إن استطعت ولكن الله لن يفعل ذلك.. ثم هـــب أن الله موجود.. إذن فهو خير خالص.. فكيف يخلق هو بذات نفسه الشيطان وهو شر خالص.. كيف يكون خيرا ويخلق شر.. ولما ما الغرض.. وإن كان الله موجودا حقا فلماذا خلق كل الفسق و الفجور.. لما خلق البغضاء؟ والقبح؟ وكل الأشياء الفظيعـــة، الله خلق كل الشرور.. كيف يمكن أن يكون هذا الإله خيّرًا إذا كان هو الذي خلق كل الشرور في جميع الأزمان؟.. الكراهية والذل والقهر يمكنك أن تراها في كل مكان.. أليس كـــذلك.

فكيف يكون الله خير.. ثم لماذا خلــق لي خمــس حــواس لا أستطيع أن اتعرف عليه بأي منهم يقاطعــك صــوت الآذان فترتجف بالرغم منك "الله اكبر الله اكبرا.. أشهد أن لا الــه إلا الله" لا لا يمكن أن تكون موجود لا أنت ولا كل رســلك.. فيقاطعك احتراق الآذان لعقلك مرة أخرى "اشهد أن محمــد رسول الله.. اشهد أن محمد رسول الله.. حي على الــصلاة.. حي على الفلاح" لا يمكنك أن تكون موجود إن كنت موجود فلما لا أراك بعيني.. أو أسمعك بــأذني، أو أي... فيقاطعــك الآذان للمرة الأخيرة "الله اكبر الله اكبر.. لا اله إلا الله".. أيــن هي الإجابة، لا شيء حسنا يا "محمد" أن أتيت فسوف أحرقك بالمنطق، سيكون سؤالي باختصار أين الله.. وبالمنطق والمنطــق وحدة.. أنا لست متعصب لأي شيء لأنني ببساطة لا أؤمــن أصلا بأي شيء... ولكن معايير الناس عندي بمــا يفكــرون حسنا سوف انتظر "محمد".. ها هــو آت.. ســوف أعطيــه الفرصة في الحديث..

ـ "خالد" ..

ابتسم كنمر يوشك على التهم فريسته ..

ـ "محمد".. ممكن نتمشى لحد البيت عايزك ترد على شوية كلام وطريق البيت وحشني...

فيرد بابتسامة من لا يعلم انه سيقع في الفخ..

_ ماشى..

أحيط بنعومة الخيوط من حول قدميه ليدخل الى الفخ

بقدميه..

_ أنت ساكت ليه.. ممكن ترد لو عايز

فيبتسم بلامبالاة.

_ مش لازم

فابتسم بابتسامة الظافر الآن بثقة أقولها..

_أنت شايف أني صح يعني.

فيلتفت ليواجهني بوجه مبتسم بالكامل...

_ لا.. بس واضح انك مش عايز تقتنـــع يعـــنى بتجـــادل وبتجادل وبس.. بس هاجوبك بعلمـــي البـــسيط كمـــسلم عادى.. بص يا خالد الإسراء والمعراج حدثت في عام الحزن في عام توفى فيه عم الرسول صلى الله علية وســـلم وزوجتـــه.. وصعد ليرى الله عز وجل.. فأقر علية الصلوات خمسين.. فلما نزل قابل موسى علية السلام فقال له يا محمد لقد خيرت الناس وسيشق عليهم إن يتبعوك فاصعد إلى ربك فاجعلـــه يقللـــها.. وهكذا.. إلي أن صارت خمـــسة في الفـــروض وخمـــسين في

العمل.. أما لماذا حدث كل هذا فلكي تتعلم من سيد الخلــق علية أفضل الصلاة والسلام.. أن الأمور تأتي تدريجيا.. ولكــي تفهم حكمة خمسة في العمل و خمسين في الأجر.. والمــرأة لم تنل ولن تنال احتراما كما نالته في ظل الإسلام أنت عارف لو الإسلام طبق بحذافيره مين هايخسر.. الــذكور.. لا تنظــر إلى بدهشة.. أنت أتكلمت كتير عن الحقوق ومتوقفتش عن الفرق بين الرجال والذكور.. والمرأة التي قال عنها الرسول لو إمرتهــا بان تسجد لأحد غير الله والسجود ها هنا ليس معناه التعظــيم ولا التوقير إن علمت بل هو سجود احترام وتقــدير.. لقيمــة الرجال في المجتمع الإسلامي.. أتعرف إن الإسلام ينهى عن إن تمس ذمة المرأة المالية من قبل زوجها في حين يلزمه بان يصرف عليها وعلى أخواته البنات وعلى أهله.. لذلك في الميراث شرع إنه للذكر مثل حظ الأنثيين.. والضرب ليس مــن الإســلام أساسا..ولا تحاسب دين بالكامل على تــصرفات شــخص.. عارف الرسول أمر أن الضرب يبقى بالسلوك المقصود مــش الأذى يا خالد والموضوع دة ليه شروط اقسي من أن تنفــذ.. وأضحكتني جملة أن يلبس الرجال النقاب.. لا بأس ولكن مــا رأيك في رجل حلق شعره!! ما رأيك في أخر يربي لحيته..يــا عزيزي جمال المرأة هو سرها..لذلك تحدث أنت بمنطقية لــيس أكثر..

كمن تلقه خبطه وهو سيد الموقف أحاول تجميع أفكــاري وانطق..

ـــهمممممم..عارف ليه أنا اخترت أبى ميبقاش ليا إنتمساء ديني معين؟ أنا لقيت الدين زى أي اختراع سلاح ذو حدين، خلينا نتكلم بمنطقية اكتر ،أنا حاولت أتعامل واخذ من كــل الديانات.. وبرضه فشلت لأن العلم أصلا مــاأثبتش وجـــود ربنا..أنا مش قادر أحس بربنا ولا اشوفه ولا اشمه ولا المـــسه يبقى ايه بقى..وبعدين لو موجود لية ربكم خلق الشر والحقد.. خلق الكراهية والذل ها..

يلتفت من حولة... ليهرب من منطقي وينطق ..

ــــ الدنيا ضلمة أوي ..

بدهشة أرد ..

ــــآه جدا بس إيه علاقة ده بموضوعنا..

فيرد بابتسامة لم أفهمها..

ــــ هو فى شيء اسمه ضلمه يا "خالد"

فأجيبه على الفور ..

ــــ آه طبعا..

فيبتسم لأسقط فى شراك كلماته تلك المرة

_ لا مفيش.. الضلمة دي مش شيء محسوس.. الـضلمة دي هي حالة غياب الضوء.. ممكن ننور نور عالي او منخفض شوية..ضوء ببريق لكن مفيش ضوء مستمر، يبقى الاصـل ان مفيش نور..يبقى ف شيء ، واسمه الضلمة.. مش كـده ؟ ده المعنى الى بنستعمله في التعريف.. بس لا الضلمة مش كدة.. لو كان كده يبقى أنت ممكن تخلى الضلمة مضلمة اكتر أو تمـلا برطمان ظلام مظلم .. الموضوع نفسه ف البرودة والحرارة..في برد يا "خالد"؟..

_ آه في طبعا..

_ لا برضه أنت غلطان. أنت ممكن يبقى عندك حرارة قوية أوى حرارة تصهرك ممكن تقيس الحرارة بس مفـيش حاجـة اسمها البرودة.. البرودة دي كلمة بتستخدم علـشان تقـيس غياب الحرارة ..أنت مش ممكن تقيس البرودة.. لو ينفـع لـو نقدر نتحكم كنا قدرنا نوصل لأبرد من ٤٥٨ تحت الصفر..

_ مش فاهم

_ هافهمك نفس الموضوع بالنسبة للكرة والذل ..الكـره هو غياب الحب.. والذل غياب العدل..ببساطه انت بتقول إي كلام ..عقلك بيستخدم إفتراض المنطقية الثنائية..

_ يعنى إيه؟

ـ يعني في حياة وفى ممات، في إله خيّر وإله سـيئ، أنـت شايف مفهوم الله شيء محدود و محسوس، شيء يمكنك قياسه، خالد العلم الى انت بترجعلة كل الأشياء ده بنفسه لحد النهاردة مايقدرش يشرحلك فكرة إنه بيستعمل الكهرباء والمغناطيسية وهي لم تُـر أبداً، رغم ده فالعلماء يفهموها تمامًـا، عـارف رؤية الموت كحالة معاكسة للحياة هو جهل بحقيقة أن المـوت لا يمكن أن يتواجد كشيء محسوس، الموت ليس العكس مـن الحياة، بل هو غيابها فحسب ..بص هناك كدة..شايف البنت اللي بتركب العربية دي.. تفتكر هايعملوا ايه؟

ـهايسمعلها جدول الضرب.. هههههه

ـ فى حاجة اسمها الفسق يا "خالد".. الفجر.. أو الظلم

ـ آه في طبعاً

ـبرضه غلط الفسق و الفجر هما غياب المبادئ الأخلاقيـة فحسب ومفيش شيء إسمه الظُـلّم؟، الظلّم هو غياب العدل، هل هناك شيء أسمه الشرّ يا خالد؟

ـآه...

ـلا الشر هو غياب الخير.. بس فكر من غير فلسفة..اه في شرور في العالم يا خالد ..وربنا الى خلقها. .افترض معايـا إن

ربنا موجود لدقيقة.. يبقى اكيد ربنا بينجز عملاً من خـــلال توكيله للشرور، ما هو العمل الذي أنجزه الله؟ القرآن يخبرنا يا "خالد" .. أنه يختبرنا ليرى إذا ما كان كل فرد منـــا وبكامـــل حريته الشخصية سوف يختار الخير أم الشر.. انت مقتنع أننـــا نتاج تطور يا "خالد" بجد؟...

صفعاتك منتقاة يا "محمد" بحق قوية للغاية...أرد

_ آه طبعا..؟؟

_ أنت شوفت التطور دة فيديو..شوفته بعينيك مـــثلا في طفل صغير كان قرد وبقى بني ادم..

_ أنت بتتريق

_ لا بتكلم بجد شوفته؟..

_ لا

_ يبقى مش موجود بفرضيتك..وبعدين عدم قدرتي علـــى رؤية الشيء لا ينفي وجوده يا "خالد" يعني بس عدم قدرتي أو عدم امتلاكي للوسائل..ربنا بتوصله بروحـــك يـــا "خالـــد" بقلبك..مش بعقلك.. مش هتقدر ..هاقنعك.. أنا مش شايف مخك أنا شايف قدامي شعر منعكش.. يبقى دة معناه ايه؟

ابتسم:

_معناة ايه؟

إن معندكش عقل يا "خالد" لأني مش قادر أشوفه ولا ألمسه ولا أشمه ولا أتذوقه.. مش صح

_ إحنا وصلنا للبيت

_ آه

- إيه رأيك ..- مفيش رأى. بص أنا ملحد بالطبع أنا ملحد عايزنا نبقى أصحاب يبقى تحترم ده مش عايز براحتك بس بلاش نتكلم في الدين تاني يا محمد لو سمحت..

_ اتفقنا يا صديق.. يلا في أمان الله..

بعدما أوصلته.. ظل صدى كلماته يطن في اذني وعقلي لم أعرف لماذا استمرت كلمة واحدة تسيطر على تفكيري.. من استعان بغيره مل ومن استعان بماله قل ومن استعان بعقله ضل ومن استعان بالله فلا مل ولا قل ولا ضل.... وظللت أسمع صدى ضل إلى إلا ما لا نهائية وأنا أصر بأنني..

بالطبع أنا ملحد ..

البدين

"كلما كان الإنسان أكثر انعزالا، كان أكثر تعصبا وأضيق ذهنا"

"علي الوردي"

ـ يعني إيه مش بتحب..ليه يعني!!

ـ لأن إحنا بشر..

ـ وإنت سوبرمان؟

ـ لا أنا حد عادى.. بس فاهم قواعد اللعبة ...

ـ يا سلام .. إيه الصوت ده .. إنت مشغل أغاني..

ـ أيوه ده منير.

ـكده إنت عبقري أنهى أغنية بقى

ـ بيني وبينك سـور ورا سـور ...وأنـا لا مـارد ولا عصفور... في إيدي ناي و الناي مكسور.. وصبحت أنـا في العشق مثل...

_ يا سلام .. هي الأغنية دى مالها معلقة ليه كده معاك..؟

_ يمكن لأني حاسسها أوى الأيام دى..وإيه كل كمية يـــا سلام دى

_ ههههههههههههه

*****

_كيف بدأت المعرفة؟.. سؤال غبي.. يستلزم إجابة ذكيـــة بالطبع.. حسنا.. أنت تعرف أنني مـــدون بـــالطبع.. وهـــى كمدونة.. صدفة غريبة أدخلتني إلى عالمها لأقرأ مدونتها.... أنا لم أنتقل من المترل من يوم الحادثة أنسيت؟... ويومًـــا فيومًـــا وتعليق وراء الآخر.. هكذا سألتني أن أســـاعدها في تفـــسير حلمها القديم حتى فوجئت بإضافة على إيميلي في عـــصر يـــوم لازلت أحفظ تاريخه وهكذا بدأ الحديث..

_ السلام عليكم إزيك يا "همسة"

_ إيه ده..إنت عرفت منين

_ بالمنطق اسم الإيميل + الأغنية + الفيلم اللي بتحبيـــه = إزيك يا "همسة"؟

_ تمام إنت عامل إيه؟

_ تمام...

لم تستغرق المحادثة الكثير، ولكنها فعلت بروحي الكثير... غيرت بداخلي مشاعر كنت أحسبها صدأت منذ سنوات.. للأسف فعلت ذلك.. كنت أومن من البداية أن الحياة لعبة من قال أنها شيء أكثر؟.. هي فقط لعبة بقواعد محددة للغاية... لها قوانينها وخطوطها الحمراء التي لا يجب أن تتعداها مهما حدث... ولها أيضا انفراداتها الخاصة والفريدة التي لا يمكن أن تتكرر.. ولكنها لعبة بلا حكام. حكامها غالبًا نحن، لذلك فهم غالبًا أقسى الحكام.. لذلك تعجبت للغاية حينما خالفت قواعد اللعبة وأنا سعيد وماض... ترى هل للقدر دخل؟.. لا يهم المهم أنني وبإرادتي الحرة لعبت ولأول مرة خارج النطاق.. أذكر أنها أخبرتني ذات يوم بأنها منذ اليوم الأول أعجبت بكلماتي.. وكتابتي... صدقني لم أصدقها ..يمكنك دائما أن تعلم من مر من فوق حرفك ومن يدعى أنه مر.. هي ادعت الإعجاب وأنا مع معرفتي بذلك سعدت بكلماتها.. ثم في الأساس أنا لا أكتب لأحد، أنا أكتب كي أنفث عن كرب ليس أكثر، أكتب، كي أتطهر من الذنوب.. ترى هل تغتفر الذنوب بتلك الطريقة؟ من يعلم!!... الله وحده هو من يعلم.. يوم وآخر، مكالمة وأخرى، وكما تلتقي الأرواح وكما يحدث... شعرت بأنني سوف أحبها وهي أيضا شعرت بذلك.. لذلك أصررت_ أنا_ على أن ألجأ إلى خط الدفاع

الأخير.. كثيرا ما سألتني عن سر سخريتي المرة من كل شـــيء حتى من نفسي.. هل جربت الكورتيزون مـــن قبـــل؟.. لا لم تجربه... أجربت أن تصبح بدينًا؟.. لا.. فاتك الكثير أن تصبح ممتلئًا مثل البالون.. صدقني فاتك الكثير.. ثقافة المجتمع تجـــبرك على أن تظل على الرف.. صعب أن تفقـــد كـــل شـــيء في لحظات وأنا فقدت كل شيء.. العيون التي كانت تنظـــر إليّ بانبهار وبغيرة أصبحت تنظر بشفقة..أو بسخرية.. أجربت أن تطوف بالمحال فلا تجد ما يناسبك لأن وزنك قد تعدى مرحلة الــــ xxxl .

عليك أن تكره ضيق الملابس، لأنها ستكـــشف للجميـــع ترهلات جسدك المصاب.. حينها عليك تخشى... أن تخـــشى البشر وتكره أشعة الشمس.. حينها عليك أن تتقوقع بـــداخل وعائك الصدفي.. لا تصدق كلمات من نوعية "جمال الروح" أو لسنا بتلك التفاهة.. صدق أو لا تـــصدق الجميـــع بتلـــك التفاهة.. أنا نفسي كنت كذلك، فلم ألومك أنـــت..حينمـــا بدأت الأمور تخرج عن السيطرة.. فاتحتها في الأمر

_ أنا عايز أشوفك ..

_ ده بجد

_ أيوه..

ـ إنت مش قلت لي إنك مش بتقابل حد من ساعة الحادثة بتاعتك..

ـ بس عايز أشوفك إنتي...لو موافقة.

ـ يا ريت..

*****

منذ شهور لم تخرج مع أناس جدد، منذ إصابتك، منذ أن تحول تمثال المرمر إلى شخص بدين، منذ كسرت... كنت ولازلت تشعر بأنك أعلى من الآخرين، ربما لقنك الله ذلك الدرس، لتعلم كم أنت صغير في مملكة الرب، تعلمت الدرس، وواظبت على الصلاة، وقراءة القرآن، ومساعدة البشر،كنت تشعر وأنت تساعدهم أنك لم تخسر الكثير.. بل على العكس خسرت، ما كان يبعدك عن الطريق السوي ليس أكثر.. بنيانك القوى ساعدك على أن تحمل كل ذلك الوزن الزائد بفعل العقاقير... وجهك كان يضيء للغاية مع كل خطوة في طريق الخير.. كل ما خسرته كان جسدًا ممتلئًا بالذنوب حتى الثمالة.. ربما قطع عليك غرورك الاستمتاع بطيبة البشر والقرب منهم .. ماذا في العالم يساوي دعوة أم لك بأن يرزقك الله؟.. ماذا يساوى رسم السعادة على وجه بشرى؟.. ماذا يعادل لحظة انحناء وسجود لعظمة الله؟.. لا شيء!!... صدقني

لا شيء .. كان عليك فقط أن تقطع بعض الخطوط القديمة.. عليك أن تعيد أبجدياتك بأن الرجل ليس بمظهره.. عليك أن تعلم أنه في عيون الكثيرين بمظهره، صحيح أنه ليس كذلك مع بعض البشر إلا أنه مع الكثيرين منهم كذلك.. ولكنك الآن تسمو، تسمو على جسدك، حتى على كل شيء، تستعيد ثقتك التي أفقدتك إياها العقاقير.. ما سر مرور شريط حياتك أمام عيونك وموعدكم بقي عليه دقائق؟!.. وأنت تتأنق لملاقاتها.. وتتساءل عن التأثير في عيونها، تتذكر أن أشياء كهذه لم تكن تقلقك قبل الآن.. لا داعي للغوص في بحار ذكرياتك في هذه اللحظة.

عرفتها منذ رأيتها...

عرفت تلك الخطوات التي تتمايل فتملأ الكون عبقًا.. الدلال الذي يحتويه ثوب فينتشر على الأرض فتشعرك بأن زهرة تفتحت فملأت الكون رائحتها، رائحة أنثى بحق.. كنت تعلم أنها خرجت من تجربة حب فاشلة إلى قصة ارتباط أكثر فشلاً... لا يهم.. وقفت بجانبها، ولم تعرفك حينما قدمت لها تذكرة المترو، تساءلت عينيها باستنكار.. وكسر القلب مع نظرات عينيها المندهشتين..أركبتها عربة السيدات وأنت تشعر بالخجل، بل قل بالضيق الشديد لأول مرة تحس بأنك تتضاءل

في حضرة أحدهم..وفي المحطات الأربع إلى وسط البلد شعرت بأن الطريق يستغرق أيامًا لبضع دقائق، عنـــدما أرشـــدتك إلى المقهى كنت كالسائح في عالم غريب.. تعجب بكـــل شـــيء كالأطفال.. تستنشق عبق الزهرة بكل فرح، كل ذلك الجـــو جديد عليك الخليط الغريب.

رائحة البشر كلها أشياء، لم تعتدها من قبل.. لم تر من قبل كل تلك الوجوه، وكل تلك الأرواح.. عندما جلستم علـــى مقاعد المقهى..ودخنت سيجارتها.. وطلبت كوبًا من الشاي، وطلبت هي قهوتها وتحدثتم... كنت تشعر أنك تتسلل داخـــل روحها، ولكن في عيونها لمحت الرفض لذلك الـــشكل القبـــيح المتمثل أمامها.. وأنت كنت كالطفـــل الـــصغير حاولـــت.. وحاولت.. سعدت للغاية بحديثك معها عندما انصرفت تاركًا إياها مع صديقتها... في المقهى وأنت تدفع الحـــساب قـــرأت إحساسها وحيرتها بداخل عينيها..كنت تشعر بأن تلك هـــي آخر مرة سوف تراها...ولكنك لم تكن محقًا.

*****

ـ اتصلت بيك وكنت نايم.

ـ عارف.

ـ كنت صاحي ولا إيه؟

_ لا كنت نايم بس شفت رقمك على الـ id

_ امممممممممممممم ،كنت بكتب حاجة بس مش هنزلها على البلوج عايزة آخد رأيك.. هبعتها هنا أوك.

_ أوك.

_ مالك.

_ مفيش..تيجي نلعبها صح؟

_ نعم..

_ إنتي مكنتيش تعرفيني قبل النهارده..بصي يا جميلة..أنا مش الرجل اللي إنتي حلمتي بيه إنتي تخيلتي شخص غير موجود لا ٣ أشخاص... صدقيني بقى أنا غير كل دول..أنا أعجبت بيكي لأنك إنتي... متخيلتش أي حاجة.. ببساطة ومن غير أي مقدمات فتحت كل ذكرياتي وكل اللي اعتبرته خطًا أحمر بلا أي حذر... وقررت أشياءً لم يكن لي أن أقررها وأنا أعرف كل قواعد اللعبة..أنا مش بلومك بس كفاية كده المسرحية بقى دمها رخم.. ممكن نبقى أصحاب لو حبيتي بس صدقيني إنتي دلوقتي مع شخص غريب للغاية شخص غير الذي عرفتهم كلهم.. فلنعتبر ما مضى حلمًا.. قولي فترة انتهت.. هو خيال

ومضى.. وأنا كنت أعلم منذ البداية أنه سينتهي كما بـــدأ إلى السراب...

صمتت مفكرة في كلماته ربما أعجبت بوقاحته إن شـــئت الدقة وليس صراحته!!

*****

"يا قلة الذل أنا ناوي مشرب ولو في القلة عسل"

*****

يومًا فيوم كان قرار السفر يتبلور في أعماقك.. مـــا ذنـــب تلك الأرض أن تراك وأنت في قمة اليأس وهى الـــتي رأتـــك وأنت على قمة جبال القوة.. مكالمتها استمرت.. لا تعلم هل تتلذذ بتعذيبك؟ أم أنها بالفعل بريئة.. لا تعلـــم فقـــط هـــي استمرت في محاولتها للعب بمشاعرك بنفس الشكل المـــستفز..

ـــإنت مخاصمني؟

ـــ لا أبدًا

ـــ يلاش حوارات النهارده بليييييييييييز ..أنا تعبانـــه أوي ..هتستحملني وتخدني على قد عقلي النهارده؟

ـــ أوك

ـــ وده يعنى إيه؟...آه ولا لا؟

_ لو عايز أقول لا فصدقيني مش هتكسف

كنت تشعر بأنك كسرتها في أعماقك وهو ما آلمك كثيرًا.. حلمت بأنك شخص يمكن أن يصبح حبيبها.. المشكلة أن حبيبها الأول قد استغل كل طاقة حبها فأصبح بعده كل حب لها مملاً ومكررًا... وأصبحت تشتم في كل الأنفاس نفسه.. وفى كل الوجوه صورته.. وهو لم يعتد أن يرفض بذلك الشكل، اعتاد أن تنبهر به عين الرائي لا أن تنظر إليه بدهشة وبشفقة.. مع كسرها في أعماقه كسر هو أيضا.. تكمل المكالمة عقلك ينتوى أمرًا.

_ أنا مسافر صحيح...

_ رايح فين؟

_ أوربا كلها تقريبًا

_ طيب تروح وتيجي بالسلامة

_ آمين

_ بفكر أكمل شغل هناك هم خمس سنين وآخد الجنسية سنتين إقامة وثلاث سنين شغل بس كده

_ ربنا يوفقك وده يبقى شيء كويس

_ جدااا

ـ أي جنسية أوربية بتفرق بشكل بشع... عمرك سافرتي بره مصر

ـلا.

ـ لو معايا جنسية أوربية ممكن أخش أي دولة في العالم لمدة ثلاث أيام من غير تأشيرة.

ـوده شيء كويس ؟

ـجدًا

ـوليا سفير يسأل عليا.

ـطبعًا أنا مش فاهمة أي حاجة وبطيخة في حوار السفير ده

ـهههههههههههههههههههههههههههههههه

*****

الغربة شعور مر تعلمت هذا منذ أن لمست قدماك أرض الطائرة المعدنية وأنت تغادر تلك الأرض تذكرت عينيها.. لا تعرف لما غرقت في سوادهم حتى النخاع ومع ارتفاع الطائرة وهبوط قلبك نظرت إلى البعيد ترى لو مرت الطائرة الآن من فوق منزلها هل ستشعر بأن هناك قلبًا -في هذه اللحظة- ينفطر.. كنت تراجع حساباتك تراجع كل شيء منذ البداية تقترب من عالمها الممتلئ بالأشياء الجميلة شيئا فشيئًا.. تذكر

آخر مكالمة لك معها وأنت تغمض عينيك_عارفة فيلم ذهــب مع الرياح ؟

ـ أيوه

ـ جامد جدًا

_Looooooooooooool

_LOL إيه؟

ـ أصل ذهب مع الرياح مش فيلم بس

ـ ورواية كمان عارفة

_لا

ـ في حاجة كمان...

ـ وواقع بنعيشه كل يوم.. كبري.لو فقط ركــزت قلــيلاً كانت ستجد أنه هو أيضا ذهب مع الرياح ولو أنها مدت إليه يدها فقط كان سيصبر على الفراق وعلى السفر وعلى كــل الأشياء... كان سيجعل منها أميرة فقط من أجل أن ينظــر في عينيها كل مساء..فقط لو كانت قد علمت..

*****

الحنين إليها هو ما دفعك إلى البحث عن أي مكان تجـــدها فيه.. فرحت عندما وجدت جهازًا يمكنـــك مـــن أن تتـــصل بالشبكة.. سجلت دخولاً فرحت عندما رأيتـــها.. هنـــاك .. أقبلت عليها بابتسامة ففاجأتك كالمعتاد بالهموم..

ـ إزيك و..

فقاطعتك

ـأنا مخنوقة من كل حاجة ومن أي حاجة.. مع الغـــصة في حلقك تراجعت كلمة وحشتيني.. حمدت الله أنها قاطعتك.

ـليه بس؟؟ فيه إيه؟

ـمن ناس بتمثل عليا وأنا عارفة إنها بتمثل عليا وســـاكتة.. من ناس بتديني دور مش بتاعي وبتفرضه عليـــا وأنـــا بـــرده ساكتة.. من كل حد بيسمح لنفسه يقول رأي ما اتطلبش منه ويجرح ويسيب أثر وأنا عاملة جامدة . وعاملة إنها مش فارقـــة معايا.. من أقرب الناس ليا اللي كل واحد بدأ ينشغل في دنيـــا أنا مش طرف فيها.. ومطلوب مني أبقى كويسة وأوصله لحد الدنيا دي وأخرج براها. مش ذنبهم وأنا والله فرحانـــة لهـــم - أنا فاهم - وعمري ما جرحت حد ..يمكن كل حد قال إني جرحته كان كل اللي جارحه أن هو مجرحنيش الأول.. بس أنا عمري ما حاولت والله.. بالعكس والله العظيم أنا بخاف جدًا.. عندي إحساس بشع أن أي جرح هجرحه لحد حتى من غـــير

قصد ربنا أكيد هيردها لي.. بس أنا بني أدمة مش ملاك مـــش مطالبة إني أبقى ملاك.

_ فاهمك

_ تعبت من الناس اللي بتجرح فيا عالفاضي وعالمليان كل واحد فاكر نفسه بني آدم وليه الحق يقول اللي في نفسه وأنـــا مطالبة أسكت..كتير بفكر أوقف كل بني آدم قدام نفـــسه.. اللي واقف يطلع عيوبي ويجرحني أعرفه كل اللي أنا شيفاه فيـــه وبستحرم محتاجة أترمي في حضنه.. محتاجة أبقى معاه.. وهـــو داير بين كل واحدة شوية، وكلهم أقل مـــني.. ده إحـــساسي بيهم وإحساس كل الناس بيهم، مش أنا عشان متحيزة طيـــب ليه أنا لاء موجوعة وتعبت مبقيتش عارفة أضحك!

_ فاهمك صدقيني فاهمك أوي.

*****

ذات يوم طلبت منه أن يعيد إليها حبيبها القديم.. لم تكـــن تعلم أنها تغرس بذالك آخر مسمار في نعش صداقتهم.. الحـــق أنه ساعدها وساعدها كثيرًا ولكن وهو يفعل ذلك كان يتحسر من فعل الأقدار أن تضيع الدنيا مثل تلك الأميرة.. ربمـــا لأنـــه قدرها أن تظل هكذا بلا أي مرفأ.

يذكر حديثه مع صديقه عليها...

ـ إنت بتحبها صح

ـ مش عارف

ـ لا بتحبها.. هي عارفة؟..

ـ آه أكيد ..

ـ طيب احكيلي يا معلم...

ـ مفيش طلبت مني إني أرجع لها حبيبها الأولاني

ـ إيه؟

ـ زي ما سمعت

- إنت عارف البنت دى بتعمل فيك إيه؟.. بتستنزفك.. الاستنزاف مش بس في الفلوس.. لا في المشاعر والوقت.. هي عاملة زي أي ورم خبيث بياكل من الجسم وبيحرقه وبيتغذى عليه، بيقوى من ضعفه!!

ـ لا إنت فاهمها غلط

ـ لا.. لو هي مش عارفة إنك بتحبها يبقى عملاك كوبري أكتوبر.. ولو عارفة يبقى هي عبارة عن كوم زبالة بجد.. ومن اللي شايفة.. هي عبارة عن كوم زبالة!

*****

يومًا بعد يوم بدأت تنتصر على ذاتـك.. الطريـق كـان الأصعب.. العقاقير كانت أقوى منك، ولكنك انتـصرت... انتصرت في النهاية وتغيرت، خرجت من وعاء ذلك الطيـب البدين.. عاد تمثال المرمر مرة أخرى عادت قوتك وقـسوتك وتعاليك... وغرورك أيـضًا.. عملـك المتواصـل ولـذاتك المتواصلة، نسيت كل شيء عنها وعن نفسك.. كل شـيء.. بدأت تعلو، نسيت حتى محافل الخير التي تعودت حـضورها.. نسيت كل شيء عاد تمثال الشمع من جديد، السفر والغربـة أكسباك طابع الجليد.. أصبحت لا يعرف عنها شيء ولم تهتم كنت تنظر في المرآة كل مساء وتطمئن علـى تمثـال الـشمع الجميل وتغمض عينيك وتنام.. مدونتك وكتابتك أهملتها..ما فائدة الكتابة أساسًا.. نسيت كل شيء كل شيء، كـل مـا أصبح يهمك هو أن تعلو وتعلو من عربة لأخرى مـن بدلـه لأخرى ومن مزيج قوة لآخر ومن امرأة لأخرى سواها.. ومن عشق لعشق يليه، بدون أن تشير حتى إلى من معـك بأنـك أحببتها... وجدت الكثير من أشـباه صـديقتك القديمـة... وجدتهم وضحكت حتى سمارها الخمري وجدته في أخريـات كثيرات، وبعدما كانت تعتريك لحظات ضيق منها نظر إليهـا نظرة غريبة نظرة شفقة بحق من كل ما تمر به.. عندما قابلتـها مرة أخرى بابتسامة شديدة وبمنتهى الأدب تحدث معها.. ربما بأسلوب متحفظ أكثر من الـلازم .. لا يعـرف حـاول أن يساعدها مرة وأخرى حاول أن يظلوا أصـدقاء، أن ينـشئ

مشروعًا في مصر تديره هي وأن.. ولكن للأسف لم تحسن هي التعامل مع ثوبه الجديد.. كانت تعودت على الاستتراف منه.. لا المنح.. وهو لم يكن ليقبل بأن يقدم أي تنازلات لها... قالت له ذات يوم أنه فقد أجمل ما فيه لأنه فقد طيبته. وأنها حينما رأته أول مرة أغمضت عينها وفتحتهما لتجد وجهًا به كل براءة وطيبة الكون ولكنها تشعر الآن بأنه خسر كل هذا ابتسم وفقط..

*****

حينما رآه أحد أصدقائه الذين مر بهم في فترة انكساره استوقفه.. حدثه عن التغيير الكبير الذي طرأ بعد غيابه.. حدثه عن فضل أفكاره في ذلك التغيير.. وبأن الجميع يشتاق إليه وخاصة الأطفال.. لم يتحدث معه قط عن تغير جسده ولم تنبهر عيناه فاندهش.. عندما زار الدار.. طفلة صغيرة كانت ترتمي في أحضانه كلما رأته سلمت عليه بجفاء.. لم يفهم الأمر!!.. أفهمته نظراتها.. أفهمته... أنه استبدل روحه التي عشقها الجميع والتي جعلته من الله أقرب بأخرى ترفض كل شيء، وتروى من غروره.. وأن واقع تجربته لو نظر إليه نظرة محقة فإن جسده وإن تغير فإنه ظل ذلك الإنسان وأن من يهتم بأي شخص من أجل مظهره فلا يستحق العناء لنحافظ عليه من الأساس.. حينها وحينها فقط شعر بالضياع يغزو كيانه.. وشعر بالفعل أنه ضل الطريق..

الفهرس